كتاب اليوم

كناري

مجموعة قصصية

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

أحمد الخميسى

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٧ منفذاً للبيع على مستوى الجمهورية

- معرض سور الأزبكية للكتب القديمة
- أحدث إصدارات مكتبة الأسرة
- أحدث الإصدارات فى مختلف فروع المعرفة
- إصدارات المركز القومى للترجمة وأكاديمية الفنون

جميع الفروع مفتوحة من ١٠ ص إلى ٩ م

خصم ٢٠٪ على جميع الإصدارات

www.ibtesama.com Exclusive

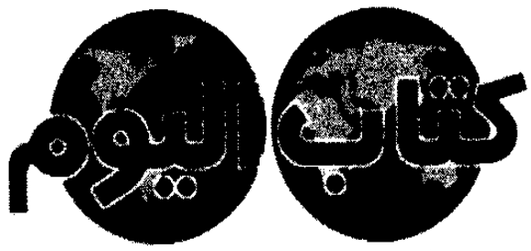

رئيس مجلس الإدارة

د. محمد عهدى فضلى

رئيس التحرير

نوال مصطفى

www.ibtesama.com Exclusive

العدد رقم ٥٥٠

ديسمبر ٢٠١٠

يصدر كل شهر

عن

دار أخبار اليوم

٦ شارع الصحافة

القاهرة

ت: ٢٥٩٤٨٢٢٣

تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

الغلاف:

أشرف مفرح

الإخراج الفنى:

عبدالقادر محمد على

تخفيض ١٠٪

من قيمة الاشتراك

لطلبة المدارس

والجامعات المصرية

أسعار البيع خارج مصر

سوريا ١٥٠ ل.س - لبنان ٥٠٠٠ ل.ل - الأردن ٢ دينار

الكويت ١ دينار - السعودية ١٢ ريال - البحرين ١,٢ دينار

قطر ١٢ ريال - الإمارات ١٢ درهم - سلطنة عمان ١,٢

ريال تونس ٣ دينار - المغرب ٣٥ درهم - اليمن ٥٠ ريال

فلسطين ٢,٥ دولار - لندن ٢,٥ ج ك - أمريكا ٥ دولار -

أستراليا ٥ دولار استرالى - سويسرا ٥ فرنك سويسرى.

العنوان على الإنترنت

www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى

ketabelyom@akhbarelyom.org

www.ibtesama.com Exclusive

كنارى

مجموعة قصصية

أحمد الخميسى

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

قبل أن تقرأ

"كنارى".. هل أعجبكم الاسم كما أعجبنى؟ أعتقد ذلك، فالكلمة فى حد ذاتها كفيلة بأن تفتح الشهية لمطالعة العمل، وتبعث على الانطلاق والتحرر والتفاؤل، وتتيح للقلب والعقل معًا التحليق فى آفاق أدبية مبهجة.

عشرون قصة قصيرة هى محتوى هذا الكتاب الذى يمثل التعاون الأول بين سلسلة "كتاب اليوم" والأديب أحمد الخميسى، عشرون قصة مليئة بعذوبة اللفظ ورقة المعنى ورهف الحواس، بدأها المؤلف بحوار خيالى باسم بينه وبين عصفوره الكنارى يشبه مناجاة بين حبيبيْن، فى لغة هى أقرب إلى الشعر الراقى منها إلى القصة.

تحمل القصص أيضًا بُعداً فلسفيًا لمن يطلق لتفكيره العنان فى المعنى والمغزى، تلك التى تذوقتها فى قصة "حصان أحمر" على سبيل المثال، إذ أحست الخيل ذات يوم أنها مهددة بالزوال، فتوافدت من كل بقاع الأرض إلى غابة معزولة واتفقت على أنها بحاجة إلى حصان نادر التكوين يلهم الخيل كلها الشجاعة والصبر فى دفاعها عن حياتها، وقال حصان الحكمة العجوز: "لا بد أن يكون أحمر اللون ليصبح مرئيًا فى أى مكان أو زمان"، ثم يستطرد المؤلف - علىِ لسان البطل وجدته - فى قصته تفسيره لوجود حصان يحمل لونا نادرًا لا وجود له بين الخيول، حتى يصل بالقارئ إلى مرحلة الإقناع.

أحمد الخميسى أديب صاحب موهبة أصيلة وفكر متفرد وعميق، وقد استطاع من خلال مجموعته القصصية التى تقرأها الآن أن يغوص فى أعماق أبطاله، وأن يستخرج منهم ما لا يعرفونه عن

www.ibtesama.com Exclusive

أنفسهم، وهذا هو أسلوبه الذى اعتاده فى مجموعاته السابقة وعلى رأسها "الأحلام، الطيور الكرنفال" و"قطعة ليل".

وصاحب هذا العمل نجل الشاعر والمخرج الكبير عبد الرحمن الخميسى، ولد بحى السيدة زينب وانغمس بالتدريج فى عالم الترجمة والفكر والأدب، وكتب المقالات والأفلام والقصص ثم اعتقل أكثر من ثلاث سنوات لمشاركته بمظاهرة العمال احتجاجًا على وجود المسئولين عن النكسة بالحكومة المصرية، وبعد خروجه عام ١٩٧١ سافر للاتحاد السوفيتى حيث حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة الأدب من جامعة موسكو، وهو الآن يكتب للعديد من الصحف والمجلات العربية، وصدرت له العديد من المؤلفات الأدبية والدراسات النقدية.

ويبدو أن الخميسى لم يتأثر فقط بوالده، إنما تأثر أيضًا بصلاح جاهين وصلاح عبد الصبور اللذيْن كانا يسكنان فى نفس عمارته، فنهل من نبع الأدب والشعر والفن بتلك البيئة الأدبية التى نشأ بها، وشب فى رحابها.

إنها مجموعة قصصية تدعوك إلى التأمل العميق فى مفردات الكون، والغوص فى أعماق نفسك فى آنٍ معًا!

نوال مصطفى

ديسمبر ٢٠١٠

www.ibtesama.com Exclusive

" إلى كناري بمقدار محبتي "

أحمد الخميسي

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

تمثل قصص أحمد الخميسى نماذج عالية لقدرات كاتب من كتاب القصة العربية الكبار، فهو كاتب يمنح نماذجه القصصية شمول الرؤية ، التى تمزج - برهافة ورصانة معا - بين الإنسانى الخاص والوطنى العام ، بين التخييل المجنح والواقعية الدافئة ، سبيكة مشغولة بلغة يفتنُنى فيها هذا الإيجاز البلاغى الذى يجعل جملته السوية القوية نابضة ومشعة ، بلا إطناب ، ولا استطرادٍ مُتشاعر ، نسيج شفيف ومتين تنطلق عليه خيول حمراء تحيلنا إلى شجن وألم قضيتنا القومية ، وبطات صغار مسحورة تلازم ضمائرنا حيال مذابح الطفولة العربية التى يتجاهلها عالم مخاتل ، وشائج من حرير حى تربط بين آباء مغدورين وأبناء فى التيه ، بشر يشيد لهم الرعب السلطوى سجونا خانقة من هواء ، أما القصة البديعة المسماة " قصة " فإن القصة فيها تتحول بذاتها إلى كائن حى ، وهذا الكائن يلخص الحياة ، إنها قصة بقوة رواية . إنه كاتب كبير ينهض على روح متعفف ، وثقافة واسعة عميقة تنطلق من المحلى إلى العالمى ، ودراية نادرة بأرفع نماذج الأدب الإنسانى ، ثم إنه يمتاز بتواضع صادق حيال ما يكتبه ، وشك ذاتى فى كمال المُنجَز ، وهما سمتان من فضائل أى كاتب حقيقى ، لكنهما هاهنا ، فى واقعنا الثقافى الملتبس، وياللغرابة، تعملان ضد صاحبهما. وهذا يقتضى إلحاح المراجعة ، يقتضى قراءة جديدة لقصص كاتب كبير جديرة حقا بكل احتفاء وتقدير .

محمد المخزنجى

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

1

كناري

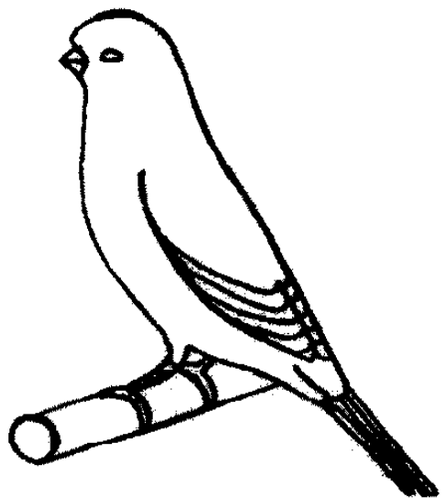

أمشى بها ، أدوس على الأعشاب ، وأجتاز الأنهار ، وهى سارحة بعظمة فى ذكرياتها وأحلامها . وفجأة ، صاحت : انحرف يسارا الآن . تصرخ دون سبب : قلت لك يسارا !

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

وسط ستة مليارات إنسان ، وملايين الجبال والبحور ، وكل الكواكب والنجوم ، لدى فقط ، كل مالدى ، عصفورة واحدة صغيرة ، أقول لها قبل نومى : " تصبحين على خير ياكنارى الصغيرة " . تقف على راحة يدى ، لا أضغط عليها بقوة ، وخشية أن تبعد عنى لا أبعد أصابعى عنها . أكلمها بصوتى الأجش فتقول : ياعندليب . أرقد تحت الأشجار فتقول : سبعى يرتاح . أستحم فى النهر فتطير فوقى تضرب الهواء بجناحيها : تمساحى فى النهر . هذه العصفورة هى كل ما لدى . أتحمل نزقها ، وحماقاتها ، وأصبر على تلفتها الكثير برأسها ، وأتفهم نظرة عينيها التى تبدو مطمئنة راسخة ثم تحترق فى لحظة بعذاب خوف مفاجئ .

حطت على كتفى مطلع اليوم . رفعت رأسها نحو السماء بكبرياء . قالت بنبرة لا تقبل النقاش : الجو اليوم صحو . وأضافت آمرة ولم تنظر إلى : دعنا نطير قليلا . أحاول أنا الذى اعتدت تقلباتها أن أوضح لها : أنا بشرى يا كنارى ، وزنى ثقيل ، ولا أطير . تمسح الأفق الذى ستحلق فيه بنظرتها ، وترد برأس مرفوع : أوقف سخافاتك هذه . ينخفض صوتى : افهمينى ، أنا لا أقدر . مرت على السماء بنظرة أخيرة متفحصة ، ولا أظنها حتى سمعتنى ، وقالت : هيا . هيا ! . قبضت بمخالبها الدقيقة على ياقة قميصى لترفعنى ، اغتاظت من ثقلى وضخامتى ، ومع ذلك ارتفعت بى للأعالى . شهقت من الخوف وأنا معلق بشعرة فى الهواء . قامت بدورة كاملة فى السماء، زقزقت ، دخلت سحابة بيضاء وخرجت منها لأخرى وعلى ريشها وجبينى ندى . تعبت ، ففردت جناحيها وانزلقت من السماء للأرض ببطء . حطت حيث أقف وظلى خلفى . نفضت الندى عن جناحيها وأطلقت صوتها الرنان نحوى : ألم أقل لك إن بوسعك أن تطير؟ . تطمئن إلى وقفتها على الأرض فتستعيد نبرتها الآمرة : سنطير كل يوم مادمت قد أحببت ذلك . ربما غدا .

وقفت على رأسى ونكشت شعرى متطلعة حولها ، ثم ، وكأنما اتخذت قرارا حكيما بعد تفكير، قالت بثقة : الآن سر بنا . تميل برأسها على جنب وتتذكر : إلى اليمين .

www.ibtesama.com Exclusive

أمشى بها ، أدوس على الأعشاب ، وأجتاز الأنهار ، وهى سارحة بعظمة فى ذكرياتها وأحلامها . وفجأة ، صاحت : انحرف يسارا الآن . تصرخ دون سبب : قلت لك يسارا ! . مضيت بها بهدوء بين أوراق الأشجار العالية . قابلتنا بحيرة صغيرة ، ثم لاح جبل مرتفع ، فرفرفت كأنها كانت تبحث عن الجبل منذ زمن وصاحت : الجبل ! ألم أقل لك ؟ . غمغمت : لكنك يا كنارى لم تنطقى بحرف عن أى جبل ؟! . دارت أمام وجهى حانقة تضربنى بمنقارها : بل قلت لك يسارا لأن هناك جبلا ! . عادت تتقل قدميها فوق كتفى وصاحت : الآن إصعد الجبل ! . نصعد . عند القمة وقفت أستريح ، وملأت هى صدرها الصغير جدا بالهواء النقى البارد . وقالت : يكفى هذا . تعبنا . وهبطت بعينيها إلى الغابات عند سفح الجبل ، وهتفت بعظمة : إلق بنفسك إلى تحت . هيا . أريد دليلا أنك تحترمنى . قلت لها : سنموت يا كنارى . ستتحطم ضلوعى على الصخور ولا يبقى منى شىء . دارت حولى باهتياج وعصبية : أنت جبان . رعديد . لن نموت . وحتى إذا متنا سيبقى على الأرض حطام الحب وينمو من جديد . تضربنى بجناحيها على ظهرى تدفعنى بمنقارها إلى حافة الجبل وتصيح : يا جبان . أنظر إلى الفراغ الهائل الذى يفصلنى عن الأرض ، وألقى بنفسى من أعلى الجبل وهى خلفى . وما أن يحيط بى الهواء حتى أسمع صرخة مذعورة نحيفة : ياماما . ألتقطها بكفى ، وأواصل الهبوط إلى السفح ، ولا أموت . تملصت من كفى ووقفت على الأرض ، نفضت الفزع عن ريش جناحيها واستردت كبرياءها ثم قالت بابتسامة صغيرة : ألم أقل لك ؟ لن تموت . أنا أعلم . قالت ذلك وأنا أنصت لدقات قلبها المتسارعة وهى تهدأ .

حل الغروب حولنا . وسرقنى النوم . بسطت لها كتفى ، فسألتنى وهى تعلم الجواب: ستنام ؟ . قلت : نعم . تصبحين على خير . تنام هى الأخرى واقفة ترتجف ، لكنها كأى كناريا لاتنام طويلا ، تستيقظ بعد قليل ، وتضم رأسى الضخم إلى صدرها ، وتغنى لى : نم يا صغيرى. لا تخف . لاشىء ولا أحد فى الغابة يجرؤ على تهديدك . إنها الان تحرسنى وتحمينى . أتظاهر بالنعاس . ويدخل الليل العميق وهى واقفة بداخله كالنور. أختلس نظرة عليها ، فتنهرنى بكبرياء : نم . لا تخف . ويندى كل شىء فى داخلى بالحنان مثل بستان فى الفجر حين أفكر أنه ليس لدى هذه العصفورة سواى وحدى .

www.ibtesama.com Exclusive

2

بط أبيض صغير

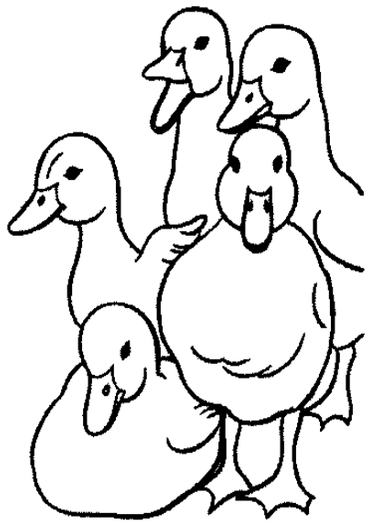

« منــذ زمــن يــلازمــنــى شــعــور مــضن أن علىّ أن أعـــيـــد تلك الكائنات البـيــضـاء الصامـتـة إلى هيــئــتــهــا الأولى ، إلى بشراتها الغضة ، وأمهاتها ، ووقفاتها أمام فاترينات محلات الألعاب . »

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

من قبل كنت أتابع كل شئ ، ثم توقفت عن متابعة أى شئ . توقفت منذ شهور طويلة عن شراء الصحف ، جميع الصحف . لم أعد أفتح التلفزيون . توقفت عن توقيع بيانات الاحتجاج السياسى ، توقفت عن الكلام فيما يحدث حولنا . صرت أتسقط أخبار الأحداث المهمة من أفواه معارفى خلال المكالمات الهاتفية ، أو اللقاءات التى تحدث بالمصادفة فى شوارع المدينة. القصف اليومى لمدن فلسطين أحالها لشجرة عيد ميلاد تزينها بيوت صغيرة تتوهج نوافذها بالموت، وجعلنى أقول لنفسى لاشىء يتغير إلى الأحسن . أحيانا نادرة كان الأمل يتواثب وينقر شباكى ، فأهمس لروحى أننى مخطئ ، ولابد أن ثمة ما يتحرك نحو الأحسن ، لكن ما أن يبدأ القصف من جديد حتى يفر الأمل بجناحيه الرقيقين مذعورا من الدوى والدخان الأسود . يوما بعد يوم توقفت عن متابعة أى شىء ، لكننى بحكم العادة المتأصلة كنت أفتح التلفزيون من وقت لآخر أكتفى بمشاهدة مقدمة نشرة الأخبار التى تستغرق نصف دقيقة ، أشاهدها بروح عدائية مثل شخص يدافع عن نفسه ضد الأنباء السيئة ، وخلال نصف الدقيقة تلك تتدفق نعوش الأطفال الفلسطينيين إلى الشاشة، مثل ماء رفعت عنه السدود مرة واحدة ، من شاشة التلفزيون إلى المنضدة وإلى أرض الصالة فى بيتى ، نعوش صغيرة ، تهرول نحوى مرفوعة على أكتاف ورؤوس الآباء المحنية وتختبىء تحت الأرائك والمقاعد قبل أن تشن عليها غارة أخرى . أغلق التلفزيون بسرعةوأندم أننى فتحته . لكن أكوام الأطفال التى تسربت من الشاشة تكون قد شغلت كل فراغ فى شقتى . يتطلعون إلى ببراءة وعتاب، برجاء أن أغفر لهم أنهم احتموا بمنزلى من غير استئذان ، وشغلوا كل مساحة شاغرة بين قطع الأثاث فى الصالة وفى الردهة الممتدة نحو الحمام والمطبخ وفى غرفتى النوم والمكتب . أقف مكانى مرتبكا ، لا أدرى ماذا بوسعى عمله. يطمئن الأطفال فى قمصانهم الحمراء قليلا ، ويستريحون من

www.ibtesama.com Exclusive

الجحيم ، يألفون المكان ، ولا يغادرون شقتى ، لأن الدنيا فى الخارج مرعبة . أنهض من مقعدى لأمضى إلى حجرة النوم فيتحرّكون فى أعقابى مثل سرب من البط الأبيض، يتعثرون ما بين قدمى برؤوس مشجوجة ، فوق كل رأس منها شريط معقود من قماش أبيض يربط الفك السفلى لكى لا يتدلى ساقطا فى الهواء .

صفوف من البط الأبيض الصغير تسكن معى منذ شهور طويلة ، وتتبعنى كأنما تخشى أن تفقدنى ، تتنقل ورائى من حجرة لأخرى ، تسارع بالتكدس حول قدمى فى المطبخ ، وحين أهم بمغادرة المسكن يقف البط الأبيض الصغير عند باب الشقة صفوفا ، يمط رقابه النحيلة الطويلة لأعلى، يتفحصنى بصمت ، ينحرف برأسه قليلا ، ومنقاره السفلى مربوط بقطعة القماش إلى رأسه ، يتطلع إلىّ ، لايدرى إن كنت سأعود إليه أم أننى سأتخلى عنه .

أرجع فى المساء ، وقبل أن أفتح باب الشقة أسمع صوت اصطفاق الأجنحة وراء الباب ، أفتح وأدخل بين خفق أجنحة البط الأبيض، وفى جو الصالة يضطرب الصياح ، وتسبح عيون مغلقة ، وكراسات ، وأقلام ، وصنادل صغيرة . أخطو بين الصفوف البيضاء محاذرا نحو حجرة المكتب، والصفوف تتدافع ورائى ، أتوقف أمام مدخل الحجرة ، وألوح لها بيدى لكى ترجع، أريد أن أصيح فيها ، لكنها تظل واقفة ، صامتة ، لاتحيد بعيونها عن وجهى وكتفى وصدرى .

فى الليل يملأ البط الأبيض كل موضع فى حجرة نومى ، ينعس على صوان الملابس ، وأعمدة الستارة ، وحافة النافذة ، وأطراف سريرى ، فإذا حركت ذراعى أو تقلبت على جنبى ارتطمت به ، أنظر إليه ، فيحدق فىّ بصمت ورهبة وأمل .

منذ زمن يلازمنى شعور مضن أن علىّ أن أعيد تلك الكائنات البيضاء الصامتة إلى هيئتها الأولى ، إلى بشراتها الغضة ، وأمهاتها ، ووقفاتها أمام فاترينات محلات الألعاب . أقول لنفسى علىّ بكل ما أوتيت من قوة أن أفك السحر الذى ربطها فى صورتها هذه . ولم أكن أدرى ما العمل . أتجه كل

www.ibtesama.com Exclusive

يوم إلى عملى فى مكتب البريد، أملأ استمارات التحويلات المالية من مدينة لأخرى ، وأسمع الناس يخاطبوننى كأن أصواتهم قادمة من تحت الماء ، ودوى القنابل يطغى على كل شىء . لكننى أسد أذنى وقلبى بإحكام لكى لا أرتكب غلطة فى عملى ، وأستمر فى توقيع الأوراق، وفى الظهيرة أغادر المكتب وأتجول فى الشوارع القريبة قبل أن أتجه لمنزلى . أعود ، أفتح الباب ، وأنا أعلم مقدما ما ينتظرنى . الأجنحة البيضاء التى تضرب فى الهواء ، والريش الخفيف المتطاير فى الجو ، وتلك النظرات ، والمناقير المربوطة بقطع القماش . يواتينى شعور أننى لم أكن فى العمل ، لكننى كنت أفر من كل هذا ، مثل جندى تسلل من موقعه فى تل مشتعل إلى غابات بعيدة . يعزينى البعض بأن الحياة مهما كان لا تتوقف. لكن لماذا أحس بهذه المرارة وأنا فى عملى؟ أو حين ألتقى بالأصدقاء القلائل؟ أو عندما أشرب كوب ماء وأجد صفوف البط الأبيض تتطلع إلىّ بنظرة مبهمة ؟ أحدق فيها هاتفا - وهل أنا المذنب؟ هل أنا الذى يلقى بالقنابل على الأطفال؟!

منذ زمن طويل توقفت عن متابعة كل ما يحدث . كل ما يشغلنى الآن هو صفوف البط الأبيض التى تواصل نموها فى مسكنى ، وتتخبط حولى ، وتمنعنى من التنفس أو تناول الطعام براحتى . الآن وقد حل منتصف الليل نهضت وربطت فكى السفلى بأعلى رأسى بقطعة قماش أبيض، ووقفت متجمدا بين الصفوف البيضاء ، ورفعت فى الضوء الباهت رقبتى النحيلة لأعلى ، ومشيت معها فى الحجرات الفارغة ، أحجل بصمت ، على أمل أن تدق الباب علينا يد بشرية .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

3

ليلة مبهمة

حدج إلى الولد الذى تجمد نائما على فخذ أم ساكنة وقد تجمد ضوء القمر والهواء حولهما . أمعن النظر إليه. لقد عرف الولد الكلمة التى يتعين عليه أن يقولها ، عرفها ، حينذاك.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

بالأمس ظهرا أجرى عملية تبديل صمامين بفتح القلب ، ونام بعدها دون أن يشعر بشيء حتى العاشرة صباح اليوم حين أفاق من بنج العملية فوجد باقات الورد ملء الحجرة والزوار جالسين على الأريكة وواقفين قرب الثلاجة وأيادى بعضهم على حافة السرير يتطلعون إليه . لم ينقطع مجيئهم وذهابهم حتى المساء ، وساعتها أغلقت الممرضة مبتسمة باب الحجرة عليه ، فأمسى وحده . فى الهدوء والضوء الأخضر الجانبى شعر بوخز الجراحة، وتخيل على صدره جرحا مثل خربشة إظفر موت بعد سنوات كثيرة مشاها على طريق طويل انتهى فى هذه الحجرة الضيقة .

كان منهكا فحاول أن ينعس، لكنه أفاق بعد قليل . تناهى إليه صوت أقدام مكتوما من الطرقة الخارجية ثم تباعد متلاشيا . تطلع حوله ، لاشيء سوى الفراغ والصمت، وشاهد أطراف الستارة ترتعش فوق النافذة فتخيل الأشجار وراءها ملفوفة بالعتمة . من جديد حاول أن ينعس لكن النوم جافاه من قلقه وخوفه أن تتدهور حالته أثناء نومه وتنتهى حياته فى غمضة عين من غير شعور أو مقاومة للنهاية . احتفظ بعينيه مفتوحتين دون أن يرفع رأسه من على الوسادة ، وأخذ ينصت فى الهدوء العميق إلى صوت أنفاسه ، ثم حول بصره إلى قماش الستارة الخفيف فوجده أبيض شاحبا مشبعا بضوء القمر. لعل الصمت والليل مجعول لكى يفك الإنسان ضفيرة الأزمنة والأمكنة التى شكلت حياته متسائلا عن مغزى حياته تلك .

حدق فى العتمة . واشتعلت أمامه فى ركن مظلم من الحجرة ، ليلة أخرى ، كأن أحدا أضاء النور فى مسرح صغير. ليلة بعيدة بتفاصيلها الدقيقة ، هو فيها ، هناك ، نحيفا فى السابعة من عمره، وحده مع أمه، وهى شابة فى الثلاثين، جالسة على أرض الصالة تحت مصباح ضعيف وقد مدت ساقا أمامها وطوت الأخرى تحشو ورق عنب بالأرز والخلطة . وهو ممدد ، خده ملتصق بأعلى فخذها ، ركبتاه مضمومتان إلى صدره. يعلم وهو هناك أن أمه

www.ibtesama.com Exclusive

تفضله على بقية أخوته، ربما لأنه الأكبر، ولهذا سمحت له هو فقط بالسهر معها . عينه على الشباك المفتوح يتدفق منه الليل بهواء خفيف وضوء وصمت رحيم، وهى برأس محنى ووجه طوقته الهزيمة بالصبر أسلمت نفسها لمصيرها لكن بترفع . وحدهما . كأنما ليس للكون سواهما .

سألها مطمئنا إلى حبها : أين بابا ؟ . قالت وهى تفرد ورقة عنب على راحة كفها : مسافر . كان يعلم من الكلمات التى أفلتت من الكبار رغم الحذر أن والده معتقل ، مسجون ، لكن ليس مسافرا . قال لها : أنا أعرف أنه محبوس . لم تتبدل نبرة صوتها وهى تقول : نعم . محبوس ، لكنه سيخرج قريبا . سأل : لأنه كاتب ؟ . لم يكن يدرى بالدقة معنى تلك الكلمة " كاتب " ، لكنها كانت تنطوى فى كل الأحوال على والده ، وأنفاسه ، وصوته . قالت برضوخ غريب : نعم . استفسر : لهذا لم تعد معنا فلوس نعيش بها ؟ . غمغمت : نعم . رفع رأسه من فوق فخذها واعتدل بجنبه ناحيتها وأعلن بهمة : سأكتب أنا المقالات التى كان يكتبها والدى وأنت ترسلينها إلى الصحيفة بالبريد ، بإسمه . لا تخافى ، لن يعلم أحد أننى من كتبها . وبذلك نستلم راتبه ؟ . اشرأب برقبته وفتح عينيه على آخرهما ساكتا مترقبا رد فعلها .

رفعت رأسها قليلا ، وتجمدت فى الهواء أطراف أصابعها الخمس مضمومة على حشوة أرز ، وأرسلت نظرة متفكرة بمرارة . قالت : طيب . مكث لحظة ساكنا حتى ارتخت أعصابه ، ثم رقد ووضع رأسه على فخذها من جديد . عليه أن يفكر فى الكلمة التى سيكتبها، عليه أن يعرف ما هى؟ . شعر بالخوف . نعم ، ولكن لابد أن يعلم . طال التفكير حتى غلبه سحر الليلة المبهمة بالنعاس .

زمن طويل انقضى على تلك الليلة البعيدة ، تقلب خلاله فى مختلف الأمكنة، وأحب الكثيرات وتزوج ، وتشرد ، وكذب وجبن ، وسافر ورجع، وصالح وخاصم ، واكتنز المال ، وغش وصدق، وتحمس ونبذ ، مثل آلاف البشر . أكانت تلك حقا حياته التى أراد أن يعيشها؟ .

حدج إلى الولد الذى تجمد نائما على فخذ أم ساكنة وقد تجمد ضوء القمر والهواء حولهما . أمعن النظر إليه. لقد عرف الولد الكلمة التى يتعين

www.ibtesama.com Exclusive

عليه أن يقولها ، عرفها ، حينذاك ، حتى لو كانت ساذجة ، وحين غلبه سحر الليل أنساه إياها ، أو أنه لم ينسها ، لكنه فى صغره لم ينتبه إلى قيمتها . ما هى الكلمة ؟ أى كلمة هى؟ وكيف أفلتت من يديه إلى السماء وهو منشغل بالنظر إلى ما تحت قدميه فى الطريق؟

قلقل بدنه على السرير. وحدق إلى المشهد من جديد ، فوجده مازال ثابتا .

زر عينيه متطلعا إلى الولد ، إلى هواء الليلة التى لا تتكرر ، إلى الأبد الذى سكن تلك اللحظة ، متلمسا الدفء الذى لفه وأمه وهما متحجرين هناك . كل شىء مرتبط الآن بتلك الكلمة . ما هى ؟ . حدق فى وجه الولد ، فلم تختلج عضلة فيه، ولا ارتجفت شفتاه، بدا فقط أنه سعيد بالنعاس الناعم الذى سحره .

فجأة اعتصرته قبضة ألم عنيف . حدق إلى وجه الصبى يتموج كالمرمر تحت مياه النوم الرقراقة . قلها ؟ . صعقه وجع شديد كتيار كهربائى ، فمد يده مذعورا إلى زر استدعاء الممرضة فارتطمت بقدح ماء فوق الكومدينو . انتفض بدنه وجحظت عيناه غير مصدق . وسكنت رأسه على الوسادة تماما ، فانسل الولد من سحر الليلة المبهمة ، ووطأ أرض الحجرة بقدمه اليمنى ثم اليسرى، توقف والنعاس يقطر منه ، وتلفت حوله يتعرف إلى المكان ، ثم تقدم بعينين صافيتين نحو السرير. انحنى قليلا على رأس الرجل ، وبصوت طفولى خافت همس له بشىء ما ، والصمت والهواء وضوء القمر يواصل تدفقه .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

4

انتظار

«

اليوم ساعة الظهيرة، توقف أمامهم عامل مفصول حديثا بعينين حمراوين وشعر قليل هائش. دخل تحت المظلة وسأل عن الحكاية بالتفصيل، فرك عينيه ثم واصل طريقه إلى بيته.

»

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

لم يعد أحد يذكر كيف أو متى بالضبط بدأ ذلك؟ حكايات كثيرة ترددت فيما بعد ، أما الحقيقة فلا يعلمها أحد، لأن للحقيقة عشرات أو مئات الأعين، واستخلاصها صعب. قال البعض إن رجلا نحيفا يناهز الخمسين خرج ذات صباح من منزله بشبرا بقميص مفتوح وبيده حقيبة سفرمتوسطة فسار مسافة فى اتجاه الميدان حيث محلات السمك، وتوقف هناك بالحقيبة بذقن نابتة ووجه شارد يزر عينيه متلفتا بتعب يمينا ويسارا. وأخيرا مضى بتنهيدة إذعان إلى الرصيف فأنزل الحقيبة وجلس . ظل فى جلسته حتى أخذت المحلات حوله تطفئ أنوارها وتغلق أبوابها بالتدريج . حينئذ دنا منه صاحب مخبز وسأله بفضول عن سبب قعوده هنا طيلة النهار؟. فغمغم دون يقين " أنتظر". ألح الرجل بمزيد من الفضول " خيرا .. ماذا تنتظر؟ ". حاول أن يتذكر أو يعرف ما الذى كان ينتظره طيلة اليوم ثم رفع رأسه قائلا " أنتظر وخلاص "، ثم أطرق برأسه بين يديه وأضاف بصوت خفيض" نعم " .

على مدى اليومين اللاحقين لاحظ سكان البيوت المجاورة وجوده، وقال أحدهم لزوجته وهما واقفان فى شرفة يرسلان نظرة إلى الرجل : " لابد أن أولاد الحرام سرقوا محفظته ". فى اليوم الرابع أمر صاحب المخبز أن يخرجوا له ثلاثة أرغفة كل صباح ، وتبعه أصحاب المحلات المجاورة فأخذ يتلقى بواقى سمك من مطعم مقابل على امتداد اليوم .

رمضان الطويل الشهير فى المنطقة بالصايع ، لأنه يدعى أنه قادر على إصلاح أى شىء من شاشة تلفزيون أو فرامل السيارات إلى تسليك الأحواض المسدودة ، لاحظ فى ذهابه ومجيئه الرجل الجالس فى صمت، وحدق فى صحون الطعام ، مرة وأخرى، ثم لبد للرجل. قبع بالقرب منه على الرصيف ، مثل الكابوريا ، ركبتاه بارزتان فى الهواء ويداه تبلغان كل ما يلوح أمامه فى الفراغ ، يحشو فمه بقطعة سمك أو حفنة أرز ويقول لمن يستفسر عن الرجل

www.ibtesama.com Exclusive

الجالس الصامت " هذا حبيبى .. بركة ". أما الرجل فلم يكن يعير اهتماما لشىء حتى للأوراق النقدية القليلة التى يسقطها له عابرون، كان يتلفت حوله فقط، ينهض من وقت لآخر ويسير حتى حافة الرصيف ، يضيق عينيه متطلعا بعيدا ثم يرجع إلى مكانه متنهدا.

على صيحات رمضان " حبيبى يا بركة " جاءت أم محمد فى جلباب أسود قصيرة نحيفة كبوصة، تجر بدن ابنها العملاق الغائب عن وعيه ، مددت الولد على الأرض ثم تربعت قربه وجعلت رأسه ووجه الشاب النضر مغلق العينين على فخذها، وراحت تمسح على جبينه طيلة الوقت وهى تزفر " الفرج ".

عندما طال بقاء الأربعة على الرصيف ضاق أحد أصحاب المحلات بالمشهد وأعلن فى اليوم الخامس إنها " غرزة " ، فتحرك الرجل بحقيبته إلى الرصيف المقابل ومن خلفه رمضان وأم محمد يجرجران بدن الولد العملاق ، وهناك جلسوا تحت جذع شجرة ضخم مبتور . ثبت رمضان ما بين أعلى الجذع وجدار خرابة خلفهم كرتونة طويلة ، فصارت مظلة وقف تحتها يصفق بكفيه صائحا فى الرائح والقادم" الفرج" .

بعض سكان المنطقة كان يتمهل أثناء مروره أمام الأربعة ويسأل من باب الدهشة عما يفعله الرجل هنا؟ وما الذى ينتظره ؟. رمضان الذى لا يتوقف عن الكلام عادة ، كان يلزم الصمت ناظرا هو الآخر إلى الرجل باستفسار، أما الرجل فيتلمس حقيبته ويقول بنبرة ضائعة " أنتظر ".

اليوم ساعة الظهيرة، توقف أمامهم عامل مفصول حديثا بعينين حمراوين وشعر قليل هائش . دخل تحت المظلة وسأل عن الحكاية بالتفصيل ، فرك عينيه ثم واصل طريقه إلى بيته . وقبيل الثانية فجرا أيقظته كوابيس من نومه ، ووجد نفسه جائعا فدخل إلى المطبخ وهو يفكر أنه هو الآخر منذ زمن ينتظر شيئا ما لا يعرفه لكنه ينتظر، قلب الفكرة فى رأسه، ومع النور الذى انتشر فى السماء خرج من بيته واتجه إلى جذع الشجرة حيث يجلس الرجل ومكث قربه ولم يفارقه .

تجاوز عدد الجالسين على الرصيف عشرين شخصا بعد أن انضمت إليهم أم فؤاد المجنونة التى تسأل طيلة الوقت برقبة مذعورة " أين فؤاد "؟

www.ibtesama.com Exclusive

فى مساء اليوم السابع لاحت عربة شرطة على رأس الشارع ، اقتربت من الحشد الصغير ولفظت من جوفها كومة جنود فرقوا بعصيهم الثلة فتناثر أفرادها واقفين فى منتصف الطريق يحملون أشياءهم وهم يسترقون النظر إلى الرجل الذى وقف شاردا للحظات سار بعدها ببطء صوب نفق غير بعيد ، ومن خلفه مضى موكب بشرى يجرجر بقج الملابس ومواقد الشاى والمواعين والأغطية وبدن الولد بعينيه المغلقتين .

اخترق الموكب النفق ودب زاحفا فى صمت ، بأمل ، نحو المجهول . من دبيب الأقدام كنشيد فى بطن النفق أحس رمضان الصايغ بالأسى ، وأن المسألة لا يمكن أن تكون صحون الطعام التى تأتيه من دون جهد ، وشعر لأول مرة فى حياته بأن شيئا ما لابد أن يقع تتبدل بعده الحياة .

بعيدا عن القاهرة على أطراف الطريق الزراعى استراح الجميع فى أرض خلاء فسيحة. رقدوا فى أماكنهم كيفما اتفق، وفى الصباح تأملوا المكان حولهم واستقروا فيه. ثلاث ليال امتد حبل الحكايات بينهم ، ودفق كل منهم قصته للآخرين مرة كالوجع ، ومرة كالأمل ، مرة فى حكاية آروى التى حاولت الانتحار ، ومرة فى حكاية بكر الذى واصل تعليمه، حكايات كثيرة صغيرة تبادلوها وهم ينشرون ملابسهم على حبال بين الأشجار، وهم يطهون الطعام وأطفال البعض منهم يزحفون بين أقدامهم . فيما ندر كانت تنشب بينهم شجارات عنيفة بسبب مزحة ، أو ماعون وضعه أحدهم فى مكان ولم يجده لكن سرعان ما تهدأ النفوس . البعض كان ينسحب عائدا إلى المدينة ، إلا أن صفوف الوافدين واصلت تدفقها ، أناس من كل ناحية ، يأتون ، يضعون حقائبهم ، ويقصون حكاياتهم ، وأخبار المليارات التى تسرق هناك، والحرائق المدبرة التى تلتهم الوثائق والتاريخ والمبانى العريقة ،العبارات التى تغرق فى البحر بمن فيها، والجميلات اللواتى يقتلهن رجال الأعمال العشاق لحظة غضب، القطارات المغلقة على الموت، وانفجارات المظاليم فى قرع الطبول الأعمى. وحينما تتراخى أذرعهم بجوارهم ولا يعود لديهم ما يقصونه يقف رمضان الطويل ضاربا بمغارف كفيه صائحا " الفرج ".

يوما بعد آخر بزغت فى الأرض أعشاب ذات رائحة حلوة مرة ، أمسك

www.ibtesama.com Exclusive

سويلم الفلاح بواحدة منها وقربها من أنفه وقال : " عتر " . ويوما بعد آخر عبدت أقدام تلك الكتلة البشرية دروبا ضيقة بين الأعشاب، وأصبح من الصعب على عابر يتطلع إليهم من بعيد أن يميزهم عن غيرهم أو أن يلحظ فى الليل سقف الأمنيات الصغيرة المتشابكة كفروع شجرة عملاقة .

عصر اليوم تلبدت السماء بالسحب ثم أخذت ترعد وتصب سيول أمطار غزيرة لم تتوقف إلا آخر الليل. وعلى ضوء الفجر الشاحب شاهدوا برك المياه الصغيرة الراقدة تروى الأرض، وامتلأ الجو برائحة الأعشاب الرطبة ، ولاحت وجوه البعض غارقة فى مرارة عميقة، وارتفعت درجة حرارة بدن العملاق ، فدثروه ببطانية انتزعها رمضان من أحدهم . وساد الصمت حتى انتشل فكرى التمرجى قدمه من بركة ماء وتساءل بيأس عن جدوى ومعنى وجودهم هنا؟ . لم ينطق أحد بكلمة ، كانوا جميعا يتأملون حالهم . وفى صمت نهضت من مكانها مدرسة شابة نحيفة وشاحبة للغاية كانت تعتصر بيدها كتابا طيلة الوقت، وبحركة عصبية غطت رأسها بوشاح وسعلت ملتفتة إلى أحدهم ، فوقف شاب كان قد تعرف بها هنا ولازمها حتى ظن الجميع أنهما سيحتفلان بعرسهما هنا ، وقف وهو يتجنب النظر إلى الآخرين ولحق بها وهى تبتعد بساقين مرتعشتين . وشملت إبراهيم العامل المفصول رعدة ، فاتجه إلى مرتفع ، ووقف مبتلا منفعلا يخاطب الجمع المستنزف " كان كل منا ينتظر وحده، لكننا الآن معا قوة من الآمال، وقوة من اليأس الصلب، ولابد لانتظارنا أن يشق بصوتنا السماء والأرض " .

الرجل الذى لم يعرف أحد اسمه ، ولا قصته ، نهض من مكانه ، ومد بصره مأخوذا بموج الرؤوس البشرية المترجرج بلا نهاية ، وانحنى على الأرض ببطء وتناول فرع شجرة اتجه به إلى المرتفع وغرسه فى الطين ، ثم عقد على طرفه خرقة صغيرة ، تطلع الحشد الصامت إليها وهى ترفرف بتراخ ، ثم وهى تخفق فى الريح بكل قوتها ، علما على طين يختلج بالانتظار .

www.ibtesama.com Exclusive

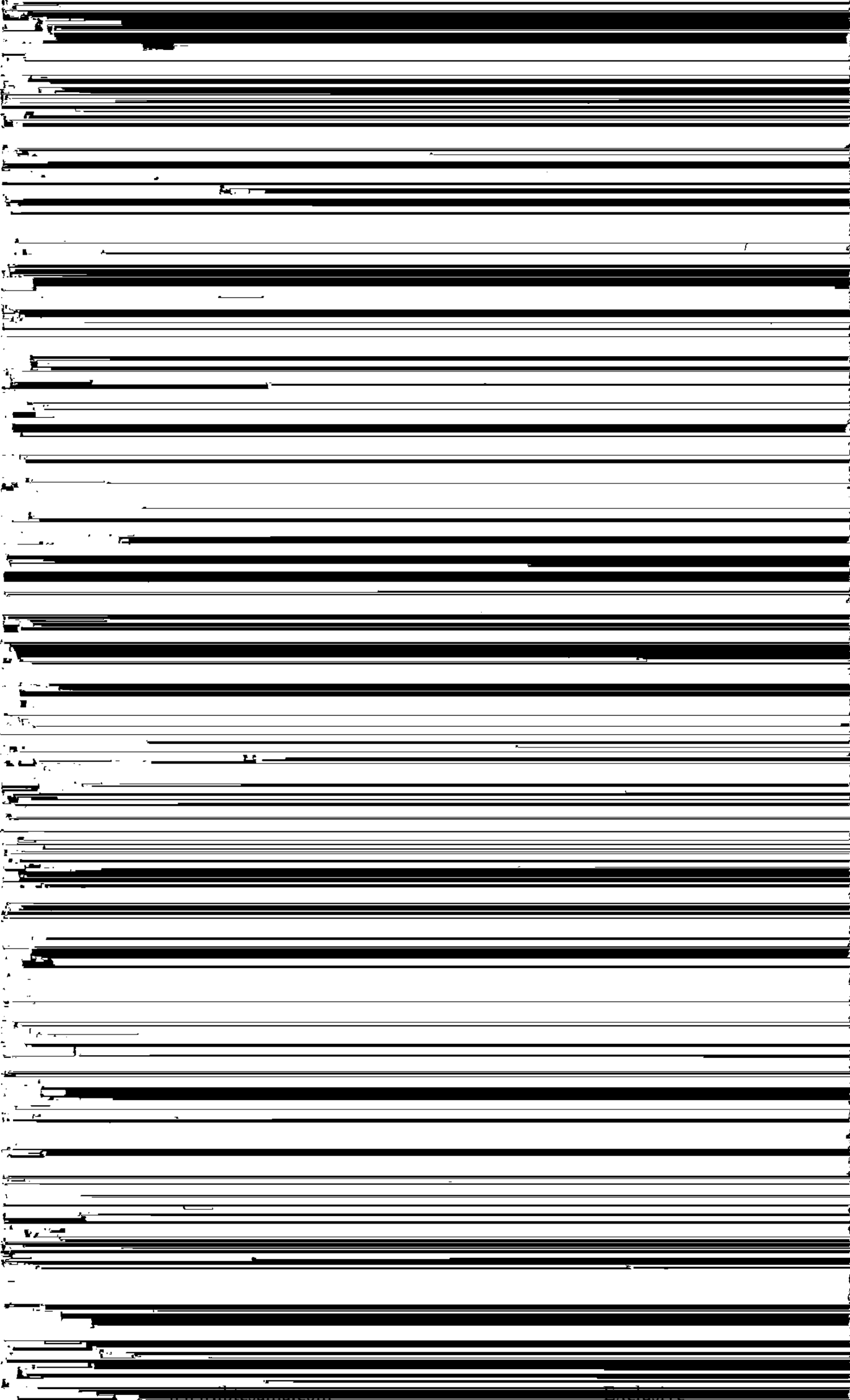

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

انقضت ستة أيام دون أن نتخير اسما للصبى الوليد . كانت فرحتنا به غامرة ، الأيام الأولى مرت ونحن نتبادل حمله وتقبيله وندائه من دهشتنا كل لحظة باسم . فإذا نام قصدت غرفته بين وقت وآخر ، أجلس صامتا على حافة السرير أرقبه وهو يغط فى النوم، رقبته مثل غصن ، ووجهه مثل وردة ، أتملى ملامحه الدقيقة طويلا حتى أرى ابتسامة ناعمة فوقها سحابة رقيقة من الهناء ، فأدعو الله أن يسعد الناس جميعا . فى اليوم السابع كان لابد له من اسم لنضعه فى شهادة الميلاد . ترددت أسماء كثيرة كل منها مرتبط بذكرى أو أمل. وطالت الأمسية وانفضت ثم دخل الليل علينا . وشعرت بالتعب ، فقمت لأنام فى مكان آخر . وقفت فى الصالة شبه المعتمة أبسط ملاءة فى الهواء لأضعها على الأريكة ، متسائلا : ما الذى يراه الطفل فى منامه ليصبح سعيدا هكذا ؟ وبان وجه جدتى : التجاعيد الخفيفة حول زاويتى فمها، ونظرتها الوديعة ، والطيبة التى تسكن ملامحها ، تقف إلى جوارى فى الشرفة وأنا صغير ، وتهبط ببصرها إلى السيارات المصطفة تحت وتسألنى : لو اخترت لنفسك سيارة فأى لون تنتقى ؟ . مددت رقبتى لأسفل محدقا واخترت. رأيت جدى أيضا ، مرق وجهه بسرعة ، ثم أمى ، وأبى ، فأخى الكبير، وهم مجتمعون فى مناسبات وأعياد يتبادلون الأحاديث . نهضت من مكانى وأمضيت مدة فى عتمة حتى طلع نور ، فسرت قليلا فى ممر طويل مشمس ، برزت من جانبيه أغصان ملتوية مطلية بالأبيض تحمل زهورا حمراء وصفراء ، وتقدمت فى ضوء هادئ بين بقع الضوء والظل ، يهب على هواء منعش مشبع برائحة الفل. قادنى الممر إلى وسط الحديقة الصغيرة المعلقة كربوة فى النور اجتمع فيها الأهل .

كانت أمى أول من شاهدنى وهى جالسة بروب منسدل متكئة بمرفقيها إلى منضدة مستديرة وبيدها سيجارة ، ابتسمت بسعادة . جلس أبى عن

www.ibtesama.com Exclusive

يمينها وقد حاد عنها قليلا واضعا ساقا على ساق ، ابتسم لى هو الآخر . وظهرت جدتى قادمة إلى الضوء الأبيض فى ثوب باهت السواد كأنه بنفسجى تحمل بيدها شيئا ، ربما طبقا ، أو كوب ماء . ونظر إلى جدى من ركن ، ثم أخى الأكبر الذى حدق فى وجهى طويلا بعينين يقظتين ممازحتين .

كان الجميع سعداء بقدومى ، وضح هذا من نظرات السرور والبهجة الخفيفة التى شملت حركاتهم . وجدتنى جالسا على كرسى . وأخذنا نتبادل الحديث دون كلام كأنما كان يكفى أن يفكر أحدنا فى شئ فتنتقل الفكرة إلى الآخر ، ويرد عليها ، ويطلع الجميع على رده .

سألونى عن إخوتى وأخواتى وزوجتى وأعمامى ومعارف قدامى فقلت إنهم جميعا بخير. لم يكن باديا من أخى فى الجو سوى كتفيه ورأسه حين قال : لماذا لم يأت أحد معك ؟ قلت وأنا أتخيل مشقة المشوار : سيأتون . همست أمى: اشتقت إليهم . هز أبى رأسه يؤمن على قولها. تذكر أحدهم عمتى ، وبناتها ، وطمأنتهم أنهم جميعا بصحة وفى أحسن الأماكن

شع الجو حولنا وتخلل وهج متورد كل شئ ، الملاعق التى تضوى ، وبشرة الأيادى ، ومساند الكراسى . لزمنا الصمت . وحدنا فى ذلك السكون ، نعب من سعادة رفت بداخلنا مثل رنة هينة بعيدة على أصبع بيانو ، ووجوهنا تترقرق وتتكسر فى اتجاه النسيم .

التفتت أمى نحوى سائلة : هل اخترت اسما للولد ؟ . وبدا السؤال ذاته بقوة فى أعين الآخرين . أجبت بنظرة حاولت أن تشملهم كلهم : جئت أسألكم . قال جدى: سنجد اسما . أعطتنا جدتى ظهرها واختفت مغمغمة : لابد من ملح ينثر ، وهاون ومدق .

تحلل الضوء وتكسر ، ولاح لى وجه الصبى يختلج ، ثم تشنجت ملامحه متقلصة فى الهواء يبكى . رفعته إلى صدرى ، وضممته فتشبثت أصابعه بقوة برقبتى . ما الذى يراه الطفل فى أيامه الأولى لينشج هكذا ؟

www.ibtesama.com Exclusive

من البقعة التى غيبت جدتى هبت دفقة هواء بارد . مد والدى يده لأخى الكبير بشال خفيف، فوضعه على كتفيه وهو يزم شفتين زرقاوين . تجمدنا فى الصمت ، ساهمين ، دون أدنى حركة ، سوى رعشة أهدابنا الخفيفة ، عائلة واحدة ، وحدنا ، من دون غرباء ، بتاريخ مشترك تشعب فينا وتجمد .

ظهرت جدتى وقد تدلت من قبضة يدها حزمة أعواد جافة هشة ، جالت بعينيها فى المكان وظلت على وقفتها صامتة .

كنا جميعا ، بأمل ويأس ، ننتظر الآخرين : الذين كان الدم الحار يندفع إلى وجناتهم، والكلمات تصدر من حلوقهم ، أولئك الذين ما زالوا أحياء .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

6

باب مغلق

في طريق عودته أحس موريس أن حجرا ثقيلا يهوى بقلبه فرفع بصره إلى السماء الغائمة بنظرة عتاب ورجاء، وما أن دخل الشارع حتى شعر بالأعين تلاحقه في صمت، تترقب قراره.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

فى شقة صغيرة بالطابق الأول من عمارة فى حى الظاهر سكن الأستاذ موريس المحاسب فى أحد البنوك مع زوجته مدام جانيت التى تعمل فى مدرسة تعليم لغات أجنبية . الإثنان تجاوزا سن الإنجاب دون أن ينجبا ، لكنهما قانعان بحياتهما التى تمضى فى هدوء وتتخللها نزهات وزيارات يوم الإجازة . فى العمارة محمود البواب الذى جاء من أسوان منذ زمن وعاش أسفل السلالم وحده مع ابنته الصغيرة هدى التى كانت تشترى للسكان وخاصة لمدام جانيت الحاجات من المحلات الواقعة أمام العمارة . موريس وجانيت - المحرومان من الأولاد - أحسا بميل وبعطف على البنت الصغيرة التى لم تكن تطلب شيئا حين تعود إليهما من المحل وتكتفى بابتسامة واهنة، سعيدة بكل ما يعطى لها، سواء أكان ورقة نقدية أم نصف رغيف خبز بداخله قطعة لحم . فى أوقات المغرب كان يحدث أن تأتى هدى بشاى أو خبز للأستاذ موريس، وتكون الشقة خالية من الضيوف، فتقول لها مدام جانيت : اقعدى يا هدى استريحى وأنت طالعة نازلة طول النهار . تجلس هدى على حافة الفوتيه ، كأنها تخشى أن تجلس عليه كله، تبحلق فى التلفزيون بصمت، فإذا قدمت لها مدام جانيت قطعة كيك صغيرة قضمت منها من دون أن ترفع بصرها عن الشاشة . تظل جالسة هكذا إلى أن تسمع صوت والدها ينادى عليها لأن أحد السكان فى الطابق الثالث أو الرابع يطلب شيئا من المحلات ، حينئذ تثب ، وتهرول ، وتغمغم من عند الباب وهى تتصرف بكلمات شكر غير مفهومة . تغادر هدى الشقة فينسل لون ما من الجو ، ويحل شعور خفيف بالوحدة والأسف فى الصالة، وعلى كسوة المقاعد، ويتفادى موريس وجانيت أن تتقاطع نظراتهما ، إلى أن ينطق هو ورأسه فوق الجريدة بعبارة ما، ليس لها معنى خاص، و تؤكد هى على كلماته وعيناها سارحتان : طبعا . طبعا . تنهض واقفة : أعمل لك شاى؟ . وينظر كل منهما إلى الآخر ، وينقل بنظرته مشاعر مختلطة من ذنب وغفران وعرفان لأنهما مازالا معا ولأن أيا منهما لم يقل

www.ibtesama.com Exclusive

للآخر أبدا إن الحياة موحشة .

فى يوم آخر تطرق هدى الباب ، وتجلس على حافة الفوتيه أمام التلفزيون تتفرج على فيلم كوميدى قديم، تأكل مما يقدم لها ، وفى تلك الأثناء تقيس عليها مدام جانيت فستانا قديما ضاق على نجوى بنت أختها ، وتفرح هدى ، وتنهض بعد ذلك وتساعد مدام جانيت فى غسل الصحون ، ثم تنام على الكنبة فى الصالة حتى الصباح . أبوها لم يجد مشكلة فى مبيتها المتكرر، فشقة موريس وجانيت قريبة منه فى الطابق الأول بجوار السلم ، والأستاذ موريس رجل طيب وكبير فى السن .

كل يوم أربعاء يتجه أبو هدى إلى مستشفى قصر العينى لغسيل كليته، ويعود منهكا أصفر الوجه يرقد على فرشته وهدى تناوله الماء والخبز، هكذا رجع هذه المرة ، لكنه بعد أن رقد ساعتين يئن تحت السلم فارق الحياة . وانتبه سكان العمارة فجأة إلى أنهم لا يعرفون لمحمود البواب عنوانا ولا أقارب ، ولم يكن يشير لأصله سوى أبناء بلدته العابرين، الذين كانوا يظهرون بحثا عن عمل ، فيشربون معه كوب شاى على الدكة أمام مدخل العمارة ويستمعون لنصائحه ثم يرحلون. الحاج شفيق قام بجمع تبرعات من سكان العمارة وتولى مع الأستاذ موريس إجراءات الدفن. فى المغرب ظلت هدى واقفة تمسك قبضتاها الصغيرتان بالسور الحديدى لسلم العمارة، رأسها مدلى تنظر إلى الفرشة التى كان ينام عليها أبوها تحت وتبكى . تواسيها مدام جانيت وتجذبها لتدخل الشقة ثم تيأس منها فتتركها وتعود إليها بعد ساعة إلى أن وجدتها نائمة تقريبا وقد أسندت خدها إلى حديد السور فسحبتها من يدها إلى الداخل . بقيت هدى فى الشقة ، وموريس وجانيت يطيبان خاطرها كل يوم بالكلمات وقطع الحلوى حتى كفت عن البكاء ، وبدأت تختلس النظر إلى لقطات من أفلام التلفزيون وهى تمسح أنفها بكمها. وحين صارت إقامة هدى عند الأستاذ موريس أمرا مسلما به ، اشترت لها مدام جانيت من ممر الراعى الصالح فستانا وحذاء جديدين، وبدأت تخرج معها وتمسك بيدها بحرص وهما تعبران الشارع، وبعد مدة أخذت جانيت تفكر فى وضع سرير لها فى الحجرة الصغيرة ، وحين مضى على وجودها شهر كامل قالت جانيت لموريس

www.ibtesama.com Exclusive

بحنان : إيه رأيك لو أدخلنا هدى مدرسة قريبة ؟ .

مساء ذلك اليوم عرج موريس على صيدلية بركات المجاورة ليشترى علبة أنسولين، فغمزه د . مصطفى الصيدلى وهو يفتش عن الدواء بسؤال عابر : أخبار البنت هدى إيه يا أستاذ موريس؟ مش الحمد لله بخير؟ . لم يتوقف موريس عند السؤال طويلا ، وأجاب : الحمد لله . ماشى الحال . وبعد يومين وجه الحاج عصفور صاحب محل العطارة السؤال ذاته إلى موريس لكن بنظرة ثقيلة باردة جعلت موريس يتساءل : إيه الحكاية؟. شخص ما فى الشارع نكش موضوع هدى قائلا " موريس أخذ البنت الصغيرة فى بيته وح يخليها نصرانية ، ح يربيها على طريقتهم!"، وتواثب الكلام من محل المكوجى إلى صاحب المخبز ومن دكان العصير إلى المقهى ومن بائعة اللبن إلى داخل البيوت. فى نهاية الأسبوع سدد الجزار وهو يقطع فخذا بالساطور نظرة عداوة إلى موريس وطرح عليه السؤال بنبرة أقرب إلى المساءلة منها إلى التساؤل . هذه المرة أدرك موريس المقصود بالكلام، فبهت وتلجلج قائلا " الحمد لله" وأسرع منصرفا. فى اليوم التالى قرر موريس أن يستشير لطفى صديقه وزميله فى البنك ، فنصحه على الفور بطرد البنت قائلا "بقاؤها عندك ممكن يعمل لك مشكلة فى الشارع والمنطقة كلها" . جزع موريس " أطردها إزاى ؟ دى طفلة؟ ومالهاش حد ؟ " . فرد عليه لطفى " سرحها ، شوف لها حد غيرك تقعد عنده " . بسط موريس كفيه بحيرة متألما " لكن البنت بتحبنا أنا وجانيت ومستريحة معانا،كمان احنا.. " . قاطعه لطفى بحزم " سيبك من حكاية الحب والراحة دى ، المسألة أكبر من كده يا موريس".

فى طريق عودته أحس موريس أن حجرا ثقيلا يهوى بقلبه فرفع بصره إلى السماء الغائمة بنظرة عتاب ورجاء ، وما أن دخل الشارع حتى شعر بالأعين تلاحقه فى صمت ، تترقب قراره ، وتحثه عليه ، وعندما اقترب من محل الجزار خرج له صبيه ودفعه فى كتفه بشكل كأنه غير مقصود وتابع سيره .

جلس موريس فى الصالة يسأل نفسه كيف يطرد طفلة صغيرة بلا أهل ولا سند؟ وماذا يقول لجانيت ؟ وللبنت ؟ .

فى الأيام التالية أخذت كلمات الغمز واللمز من الشارع تصك أذنيه بقوة

www.ibtesama.com Exclusive

أشد، وتذكر كلام لطفى ، فحكى لجانيت كل شىء . استمعت إليه جانيت واقفة بوجه مخطوف باهت ولم تقل كلمة . جلست على حافة السرير وبكت طويلا بصوت مكتوم ثم نهضت وجففت دموعها بيدها واتجهت إلى المطبخ . نادى موريس هدى فأسرعت إليه " نعم يا عم موريس " ووقفت أمامه منتظرة . مط موريس شفته السفلى ، وشبك أصابع يديه ولم يجد ما يقوله للبنت الصامتة . أخيرا استجمع موريس شجاعته وشرح لها بقدر ما يمكن لطفلة أن تفهم أن عليها أن تغادر الشقة . البنت الصغيرة فى الفستان الأوسع والأطول مقاسا عليها بكت ومع أنها لم تظهر من قبل عنادا أو تشبثا بشىء إلا أنها هزت رأسها هذه المرة " لاء " . وأعاد موريس ماقاله بكلمات أخرى فاستغربته :" ح أمشى فين ؟ أنا ما أعرفش حد ، ومدام جانيت قالت لى ح أرتب لك الأوضة الجوانية؟" وحسما للوضع هرولت هدى إلى جانيت فى المطبخ " الحقى ..عم موريس بيقول لى أمشى !" . وأشاحت جانيت بوجه متصلب كأنها لم تسمعها متشاغلة بدعك الأطباق بعصبية .

فى اليوم الثانى ، والثالث ، والرابع ، كرر موريس لهدى ما قاله من قبل ، وأوضح لها إنه يحبها مثل ابنته بالضبط ، بل هى ابنته . لكن هدى لم تعد تعير كلماته أى اهتمام ، تسمع ما يقوله وتهز رأسها " لاء " وتنصرف إلى الصالة تراجع ما علمته إياها مدام جانيت من حروف الكتابة أو تتفرج على التلفزيون. مرة وأخرى ، ثم لم يجد موريس بدا من جذبها بقوة من ذراعها وجرجرتها خارج باب الشقة .

البنت خارج الشقة ، ملتصقة بالباب المغلق ، تخمشه كالقطة وتبكى : أنا زعلتك فى حاجة؟ والنبى دخلنى . دخلنى والنبى ياعم موريس. تفر دموع موريس وراء الباب المغلق يقول : ما أقدرش يا بنتى .. والعدرا ما أقدر .

والنبى ، والعدرا ، والنبى . والباب مغلق وخلف كل ناحية شخص وحيد بحاجة للآخر .

www.ibtesama.com Exclusive

7

قصة

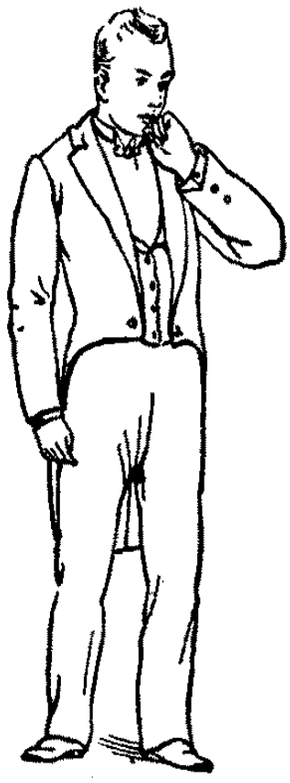

في الهامش كانت
هناك ملاحظات مدونة
أغلبها غير مقروء ، كتبت
بخط متسرع دقيق ، كأن
التي سجلتها امرأة ، أكانت
تلك ملاحظات الصبية
حاولت بها أن تفصح عن
شيء؟عن أمل عصف بها
داخل الكوخ في اكتمال
الكائن الإنساني ؟ .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كان يهم بإلقاء عقب سيجارة فى الشارع عندما لمح ورقة مجعدة على الرصيف ترتعش أطرافها من هبات الهواء . انحنى ورفعها ، قربها من عينيه وقرأ تحت النور الشاحب السطور الأولى منها فاكتشف أنها قصة. حدق فيها فطرفت بعينيها بنظرة غائمة محرومة .

نفض ما علق بسطحها من غبار ووضعها فى جيب الجاكتة الداخلى .

من عند المحطة استقل الأتوبيس ووجد مقعدا شاغرا قرب نافذة فجلس وراح يتابع ببصره الطريق وهو ينزلق للوراء بمداخل بيوت معتمة وأضواء محلات وظلال بشر، لكن عينيه الداخليتين كانتا موجهتين إليها فى جيبه، شاعرا بالسعادة لأنه قابلها وبالقلق من أن تكون خيالا . بشكل لا إرادى مد أطراف أصابعه وأخرجها من جيبه بحرص ، نظر إليها فوجدها نائمة بعمق وعلامات التعب بادية على وجهها الصغير كأنما قطعت طريقا طويلا أنهكها . مرقت نسمة باردة من النافذة ومستها ، فحركت أنفها الدقيق الصغير لأعلى تتلمس الدفء المنبعث من صدره ، فأعادها إلى مكانها وأرقدها برفق محاذرا أن يهتز.

كانت الساعة قد قاربت التاسعة مساء حين بلغ البيت . فتح باب الشقة ودخل إلى صمت الفسحة ، ولاقته الصور المعلقة على الجدران تبثه برصانة وحزن رسالة عتاب مبهم. عن يمينه حجرة النوم ، وعن يساره حجرة متوسطة بابها مفتوح ، دلف إليها ، مكتبه تحت نافذة عريضة ، جلس والنافذة خلفه ، عند الجدار المقابل كنبة ، وفى المنتصف منضدة واطئة بسطح من زجاج . أضاء الأباجورة الموضوعة على المكتب ، وأزاح صفين من الكتب المكدسة ، وفرد القصة أمامه . نظر فيها باهتمام. بوسعه الآن أن يتأملها بهدوء . قصة دقيقة ، صغيرة ، يصعد صدرها ويهبط منتظما بكلمات معدودة نظيفة. وبينما هو مستغرق فى تأملها فتحت عينيها، إما من وخز الضوء أو الجوع، وأرسلت من عينين جميلتين نظرة غائمة ، ثم مالت بوجهها متجنبة مصدر الضوء ،

www.ibtesama.com Exclusive

فأطفأ الأباجورة ، وأخرج من الجاكتة الملقاة على ظهر الكرسى علبة سجائره ، وجلس والنافذة خلفه يدخن ويقرأها على مهل .

من السطور التى كان خطها واضحا تراكبت حكاية نجار شاب فى قرية ، هام بصبية آية فى الحسن والجمال ، إذا تنفست ، وإذا نامت ، وإذا مشت وارتجت فاكهة صدرها ، فإن ضحكت تتابعت ألوان الجنة كالمروحة فى عينيها . ولع النجار بها ، ونما هواها فى روحه ، فصارت كل نهار تطل كالقمر على قلبه ، وتحرق كل ليل فؤاده كالشمس . أخيرا عقد عليها ، وفى الليلة الأولى لهما داخل الكوخ ، راح يفك أزرار ثوبها مرسلا حولها أغنياته ، لكنه كان ما أن ينتهى من فك الزر الأخير حتى تعود الأزرار وتسد الثوب المسحور، يحاول ثانية ، مرة بعد الأخرى ، إلى أن يتقد من لوعته وتتوهج عظامه فيحترق من رأسه إلى قدميه أمام عينيها . مساء اليوم التالى يولد النجار من جديد ، يقف ثانية مرتجفا قبالتها ، ويمد أصابع يديه الاثنتين مرتعشة إلى طرفى الثوب، منهكا من دورة اليأس والأمل ، ومن التوتر الذى يتوهج منه الضوء ، ومن انطفاء الضوء .

فى الهامش كانت هناك ملاحظات مدونة أغلبها غير مقروء ، كتبت بخط متسرع دقيق ، كأن التى سجلتها امرأة ، أكانت تلك ملاحظات الصبية حاولت بها أن تفصح عن شىء؟عن أمل عصف بها داخل الكوخ فى اكتمال الكائن الإنسانى ؟ .

وضع طرف تمثال حديدى صغير على حافة الورقة لتظل مفرودة ، ونهض متجها إلى المطبخ . على الرخام قرب الحوض رأى أطباقا متسخة وأكوابا بتفل الشاى . فتح الثلاجة ليرى إن كان فيها ما يثير شهيته فلم يجد سوى معلبات سردين . أغلق باب الثلاجة وهو يتساءل هل ثمة سعادة فى الحب ؟ . خرج إلى الفسحة ، وتوقف فى منتصفها ، استولت عليه رغبة جامحة أن يتحدث إلى أحد ، كالنبتة التى يتحتم عليها أن تشق سطح الأرض لتحيا ، شخص ما ، لن يصارحه بأنه وجد قصة ، فقط يتوق إلى تبديد الصمت بصوت إنسانى حى . تناول دفتر التليفونات من فوق منضدة بين مقعدين ، وأخذ واقفا يمر ببصره على الأسماء بادئا من الصفحة الأولى ،

www.ibtesama.com Exclusive

معارف ، أرقام مطاعم الوجبات السريعة ، صيدلية ، مغسلة ، قلة من الأصدقاء فارق بعضهم الدنيا لكنه لا يجرؤ على شطب أسمائهم . حط عليه ذلك الشعور الثقيل الذى يهبط عليه عادة فى ذلك الوقت الذى يسبق الليل، أنه مقطوع، سقط على سطح الكون بالمصادفة ، مثل قطرة مطر أو نقطة ضوء ، كل ما يجمعه بالعالم وجود مشترك مبهم . لم يعتب على شىء ، لابد أنه هو الآخر مذنب فى جانب ما . عاد إلى حجرة المكتب وأحنى رأسه وكتفيه فوق القصة ، مرر أصابعه بين سطورها المنسدلة على جبينها ، فباعدت ما بين جفونها بتعب، ولاحت فى عينيها لمعة بسمة واهنة ، وتأملته مرهقة بالعطف الذى يقود الأطفال إلى الحقيقة . بسط راحته خفيفا فوق سطحها ، وأبقاها هكذا قليلا، يبثها بحرارة يده محبته ، ثم تركها تنعس .

ثلاثة أيام فى الأسبوع يذهب إلى عمله، يستيقظ فى الثامنة ، يغتسل ويرتدى ملابسه ، يعد إفطارا مع القهوة ، يتناوله دون عجلة ، ثم يغادر البيت فى التاسعة . بعد نصف الساعة يبلغ بوابة الجامعة ، يقضى ساعتين أو ثلاث مابين المحاضرات واجتماعات مجلس القسم ، ثم يرجع إلى البيت فيعكف على كتاب أو بحث ، يخرج فى المساء لمجرد جولة فى الشوارع ليرى المقاهى والناس ويريهم نفسه، أحيانا يقصد بيت أخته فى زيارة قصيرة، وفيما ندر يشهد عرضا مسرحيا . يعيش هذه الحياة ويتأملها ، كأنما يشهدها من خلف زجاج شفاف يحجب عنه العطر والأصوات والدفء .

الآن ، ومنذ وقت ، ملأت عليه القصة حياته ، فصار يلزم الصمت حين يتجادل زملاؤه بالعمل فى أسباب الشعور العام بالضياع واللاجدوى ، أو كيف تحول الوطن من التاريخ والآمال إلى مجرد مكان ، يتظاهر بأنه يصغى ويهز رأسه كمن يتابع كل كلمة بينما يطوى قلبه على صورتها بعنف ، كما تعتصر قبضة الغريق طوق النجاة ، وما أن يؤوب إلى البيت حتى يتجه إليها رأسا ، يتفقد حالتها ، يجلس بالقرب منها ويطعمها كلماته الساخنة الصغيرة ، واحدة وراء أخرى ، ويمكث يرقب فمها الدقيق وهى تتثاءب شبعانة هانئة ، إلى أن ترفع بصرها إلى سقف الحجرة وتغيب فى رسوم الظلال هناك، تلاغى نفسها بغمغمة حتى تنعس، وتفعم قلبه برائحة الطفولة الطاهرة.

www.ibtesama.com Exclusive

يوما بعد يوم تكبر القصة على مهل ، تتقوت فى امتلائها على تحولات روحه وقراءاته ويقينه وشكوكه وذكرياته التى يودعها فيها كل ليلة ، يوما بعد يوم يتماسك جسدها وتنتبه حواسها ، وتغدو نظرتها مع الوقت أكثر وعيا . صارت تتعرف إلى صوته ووقع خطواته حين يقبل عليها ، ثم فاجأته ذات يوم فانفلتت من بين ذراعيه ، ووقفت وحدها من دون مساندة ، لحظة كاملة ، وسرعان ما اندفعت بجنبها إلى الناحية اليسرى تتدافع فى اتجاه واحد حتى سقطت على الأرض . بعد ذلك باتت تمشى معتمدة على قطع الأثاث ، تتأرجح فى الفراغات بينها ، ثم ترفع يديها محاولة أن تحتفظ بتوازنها وحدها ، وما أن توشك على الوقوع حتى تلتفت نحو مقعده بلهفة ، وتنطلق إلى ذراعيه المشرعتين فينتشلها لأعلى ، تطوق عنقه بأنفاس متلاحقة كمن نجا بمعجزة من موت محقق ، فيضمها إليه بشدة كما تحتضن ارض جرداء نبتة مورقة .

فى المساء يسود الهدوء حتى أنه يستطيع أن يسمع الأصوات الخفيضة من الطريق ، أو مواء قطة على السلالم ، يجلس ويكتب وتقف هى على الكرسى خلف ظهره ، تتعلق بعنقه، وتتابع من وراء رأسه ما يكتبه أولا بأول. هذه المرة أصابتها الدهشة وهى تقرأ ما يخطه عن أحلام شبابه التى لم تتحقق ، كل تلك الأحلام ؟ وتعجبت كيف يبدأ الإنسان كبيرا وينتهى صغيرا ! ثم انهمكت بشغف فى متابعة حكايته مع نوال ، وكيف تعرف بها بالمصادفة فى محل بيع ملابس، وكيف انتهى ما بينهما . اعتصرتها اللوعة حين قرأت :" تقولين لى ألا نلتقى بعد ذلك ؟ كأنك تأمرينني أن أكف عن التنفس " . ارتجفت وشحب وجهها وهو يصف ما تقطر فى روحه من شعور بأن السعادة فى الحياة وهم عزيز . انزلقت من على الكرسى من غير أن ينتبه إليها ، واتجهت إلى الكنبة المقابلة . تربعت وطفقت تتطلع إلى ظهره العريض ، صارت قصته جزءا من تكوينها ، فامتلأت عيناها بالدمع وأحبته حتى أخذها النعاس .

اليوم تنظيف الشقة . تدخل نعيمة الصعيدية التى تعول زوجها النقاش وولديها ، سمراء نحيفة ومتماسكة كالعصا، تقف برأس مرفوع عليه منديل ، تضحك وهى تؤرجح بقجة بيدها : هيه .. الدنيا حلوة ؟ . بعد قليل تصل أخته وداد لاهثة من الربو لتشرف على التنظيف والطبخ ، يتعلل بموعد هام ليتفادى

www.ibtesama.com Exclusive

النقار الذى سينشأ حتما بين المرأتين لأوهى سبب . يغادر البيت ، يشترى فى الطريق إحدى الصحف ثم يجلس على أول مقهى يراه يقرؤها ويدخن . عند عودته صادفه محل لعب أطفال ، فتمهل أمامه ، تأمل بطة بزمبرك تسبح فى حوض ماء ، تخيل فرحتها بها ، فاشترى لها واحدة . تستقبل البطة بدهشة وسرور بالغ ، يجلس معها فى جو الحمام الرطب يراقبان البطة وهى تتحرك فى مياه المغطس ! بعد قليل تنصرف أخته وداد قائلة : عندك أكل أسبوع ، لا تنس وضع الطعام فى الثلاجة حين يبرد .

فى الثامنة مساء عندما هدأت حرارة الجو اصطحبها إلى الحديقة المجاورة ، هناك سارا معا فى ممشى ضيق بين صفين من أشجار البانسيانا الوارفة ، رفعت رأسها لأعلى وكفها راقدة فى كفه ، وأشارت بإصبعها إلى زهرة حمراء عالية دون أن تجد لها اسما ، قال لها " زهرة " ، أعادت نطق الكلمة باستمتاع كأن الزهرة توجد لأول مرة ، فأخذ يسمى لها الأشجار والطير، فلم تعر حديثه اهتماما وانصرفت تتأمل بطريقتها كل ما حولها . عندما أحسا بإنهاك نضر ومنعش قررا العودة . يسير على الرصيف فى اتجاه البيت ويرقب قدميها الصغيرتين فى صندل أصفر وهما تتبادلان الخطو إلى الأمام .

فى نحو السادسة من عمرها كانت تقول " باباطس" ، كان يحب أخطاءها، ولم يكن متحمسا لتصحيح الكلمة لها ، وعندما التحقت بالمدرسة وقرأت كلمة " بطاطس" لأول مرة فى كتاب المطالعة عادت ورمت بحقيبة الكتب على الأرض غاضبة وباعدت ما بين ذراعيها باستياء" إنهم يكتبون ما يريدونه وليس ما أقوله ! ". يجلس ويراجع معها ألف باء، وجدول الضرب، ونصوص القراءة ، وخريطة الكرة الأرضية ، القارات والنجوم والأنهار والشلالات ومناجم الذهب والنحاس، ولا يقول لها إن فى كل تلك الأماكن بشرا متشابهين جدا ، ومختلفين ، يبحثون جميعا عن السعادة . تفرد ذراعها على المنضدة وتضع رأسها فوقه وتدعى النعاس بزفرة إذعان ضجرة.

يكتب ويعدل ويكتب ساعات طويلة ، تنمو، يتركها ، ينام ويستيقظ من تلقاء نفسه بعد غفوة مؤرقا بفكرة أو جملة ، يمد ذراعه إلى الكومودينو

www.ibtesama.com Exclusive

المجاور للسرير ، يضئ النور، يسير نحوها فى نومه يدون ملاحظة على الهامش ، ويعود إلى السرير نصف نائم . كان يسجل على صفحتها كل ما لايقوله لها ، فيما بعد عندما تصبح شابة ستقرر بنفسها ما الذى ستحتاجه من كل هذا فتتذكره ، وما الذى سوف تهمله ويظل مع ذلك جزءا غير مرئى من تكوينها .

كان الصمت يسود الشقة وهى نائمة حين ارتدى ملابسه ليذهب إلى الجامعة . مر على حراس بوابة القبة الضخمة وهم يتفحصون بطاقة كل طالب بدقة . منذ عشرين عاما ، عندما بدأ عمله هنا ، كان مشحونا بالحماسة ، لكنها تبددت وهو يرى كل يوم وجوه الطلاب الفقراء الصفراء، وتمكن منه الشك فى قيمة المعرفة ، وكاد يوقن أن المحاضرات التى يلقيها هى القدر الضرورى من الصدق الذى تواصل به الكذبة حياتها.

بعد المحاضرة استراح فى حجرة الأساتذة ، ودار الحديث كالعادة عن الترقيات وزيادة الراتب ثم تطرق أحدهم إلى شائعة سرقة رسالة علمية، وغمز آخر بعينه متسائلا عن حكاية الدكتورة فلانة مع عميد الكلية . وسطع وجهها فى خياله مثل شمس تغمر حجرة معتمة ، ومنى نفسه بأنه سيراها ويضع يديها بين يديه بعد قليل ، فتنظر إليه بهدوء وتفهم كل ما يريد قوله من دون أن ينطق بحرف .

كانت قد بلغت العاشرة ، وأصبح عندها الآن " ما تحبه " ، و " ما لا تحبه"، وأخذت أحيانا تثب من بين يديه وهو يكتب ، تنفض عنها ما يخطه من سطور ، وتصيح فيه ثائرة : كفى . دعنا نتجول فى الميادين نتفرج بالمحلات نشترى آيس كريم وبسبوسة . وتضحك فيتناثر رذاذ نور من كل اهتزازة فيها كأنما بداخلها قطعة ألماس مشعة . يطاوعها ، يترك كل شىء ويخرج معها ويعودان محملين بأكياس الطعام والفاكهة .

حين كانا جالسين متجاورين على أريكة أمام التلفزيون ذراعه مدلاة تطوق كتفها، سألته بدهشة وأصبعها ممتدة إلى مشهد قبلة حارة غيبت عاشقين " لماذا يأكلان بعضهما بعضا ؟ " . هل كانت تفارق طفولتها حينذاك؟ أم بعد ذلك بقليل .. عندما اختفت الأسئلة ؟ وتغير صوتها الطفولى الذى

www.ibtesama.com Exclusive

يشبه صوت الفاكهة وهى تتكسر؟ ، وحين أخذت تصبح أنحف وأطول كأن شيئا راح يعتصرها ويضغطها ويشكلها فى صورة أخرى ، لتتفجر فيها فى غمضة عين فاكهة الليل؟ تكور نهداها صغيرين لكن واضحين، وغدا عودها أكثر امتلاء وصلابة ، وصارت نظرتها أكثر إثارة للعاطفة والعقل . كانت مثل سكين غير مرهفة ، وفجأة أصبح حدها لامعا جارحا . متى انتبه إلى ذلك ؟ هل حين سألته بنظرة شاردة عن اسم نجم سينمائى وسيم؟ أم عندما دخل إلى حجرتها على غفلة فاشتعل وجهها بالحمرة وتوارت خلف ضلفة خزانة مبهورة، تدارى صدرها بيدها؟ ألم يدرك لحظتها أنه يشهد زوال آخر خيوط الصبا؟ ألم يفهم نظرة عينيها المصوبة نحوه بفرحة صغيرة خجلة ، قلقة مذنبة تطلب الغفران لأنها تغيرت؟ أم أنه انتبه لذلك التحول الحاسم يوم أن خرجا للتسوق فالتفتت إليها أعين الشبان عند المحلات تحدق فيها ، وأحنى أحدهم رأسه لها بنظرة خاصة؟ . لن يجلس بعد الآن أبدا بجوار سريرها يتملى وجهها طويلا ، ولن تتاغى من جديد نفسها وتغيب فى ظلال الرسوم على السقف ، لن تسأله عن اسم الزهرة ، لن تتعلق أبدا بعنقه ، لن تلثغ بكلمة "باباطس " . الآن صارت تتخير الجونللات والبلوزات وهى تشتريها بدقة وصبر، وفى البيت تتأمل فى المرآة كل جانب من وجهها، وأخذت روحها تنأى عنه يوما بعد يوم، مفارقة ، مودعة إلى الأبد. لكن هل ستعود يوما لتحدق إلى ذلك الماضى وتتذكر هذه الحياة؟

بالأمس وقت الغروب كانت جالسة على فوتيه قرب " أباجورة" وبيدها كتاب ، لمحته يعبر الصالة فسألته تفسيرا لكلمة فى بيت من قصيدة ، جلس بالقرب منها وأرخى ذراعه على مسند الفوتيه ، وعندما انحنى للأمام قليلا لينظر فى الكتاب ، لامست كتفه كتفها ، حدق فى الكتاب ، ومرت وهى نصف مطرقة فى سكون بطرف إظفرها خفيفا على سطح كفه الراقدة كأنما عرضا، كأنما لأنها لا تجد ما تنشغل به . أكان الأمر كذلك ؟ أم أنها كانت تقف على مشارف عالم جديد ، تستكشفه بخدش صغير؟ . ارتعش من مرور إظفرها على جلده . حول بصره ببطء إلى جانب وجهها ، فوجده هادئا محايدا مثل وجه شخص يشرب جرعة ماء ، حياد أقرب إلى اللامبالاة . اشتعلت النار فى

www.ibtesama.com Exclusive

بدنه وروحه من امتزاج البراءة المطلقة بالخطر الكامن فى كيانها .

فى صباح اليوم التالى لم يكن واثقا ما إن كانت قد مرت بإظفرها على سطح كفه بالفعل أم أنه فكر فى كتابة ذلك فوجده فيها ؟ فى المساء أضاف إلى مشهد جلستها أن شعرها كان ملفوفا كذيل حصان ، وحول عنقها وبشرة وجهها الوردية دارت رائحة هينة كتفاح فى هواء الحقول وحامت عند صدرها فوق بلوزتها الزرقاء المفتوحة وحول البنطلون الأحمر الداكن الضيق .

الآن صارت فى أوقات غير قليلة تخرج وحدها ، تقول " ظهر فيلم جديد رائع، سأذهب لأراه " ، أو " سألتقى بصديقتى الليلة لنتجول معها " ، وتطبع قبلة خفيفة على وجنته وتتصرف مسرعة، غدت أقرب إلى أن تكون شابة ، جميلة جمالا فوق الاحتمال ، شفتاها منفرجتان بكسل، ممتلئتان بعسل مثل تين برشومى مشقوق، وفى عينيها ينبعث من داخلها قلق وتمرد يجعلها فى الكثير من الأحيان تخاصم الأمكنة التى يحددها هو بأمكنة أخرى ، بعيدة أو مجهولة ، وتعاند الأحداث بوقائع من خيالها ، فإذا انصاعت لما يكتبه فعلت ذلك مكظومة غاضبة .

تجاوز الوقت العاشرة مساء، جلس يكتب تحت ضوء المصباح. يهب عليه من النافذة المفتوحة هواء خفيف، يدرك أنه فى سباق معها، عليه أن يضخ إلى قلبها آخر نبضة فى قلبه ، قبل أن تتملص منه وتفلت مندفعة نهائيا إلى وجودها لتشق الكون بوجهها كما تشق مقدمة المركب بحرا ، فيحكم الناس عليها بصفتها حياة قائمة بذاتها ، بينما يقف هو على الشاطىء وسط حشد من الآلاف ، ضئيلا ، يتطلع إليها ، بعيدا، عرضة للتأثر بها مثل الآخرين، وهى لا تبالى إلا بنفسها وبجمالها وبشعورها القوى بذاتها ووجودها . عليه الآن قبل أن تفلت من يديه إلى الأبد أن يودع فيها تلك الجوهرة التى تميز إنسانا عن آخر، الشىء المكون من آلاف العناصر والذكريات والعواطف المتفاعلة ، الجوهرة التى تشبه قدر الإنسان لأنها تلمع وتنبثق من صميم تكوينه كله وتمضى معه وبه إلى النهاية ، الشىء الذى يتفق ومغزى الثوب السحرى الذى ولدت به ، الاستنتاج الذى تقطر من جدران حياته كلها . الآن يعى النجار وهو يحترق أمام الصبية أن الحياة محكومة بجوهر فوضوى ، يضوى فى كسر

www.ibtesama.com Exclusive

صغيرة من مرآيا الحطام فى لحظات افتراق العشاق ، وفى نظرات الأطفال البريئة الممزوجة بعتاب مؤلم ، فى الطمع والقسوة وسوء الظن، فى الموت المستهزئ بكل منطق ، فى جفاف الورود . يعى النجار كل هذا ، لكنه ما أن يولد ثانية حتى يكون قد نسى كل ما تعلمه ، منصاعا لحرارة العشق ، فيعود إلى أزرار الثوب السحرى يحاول فكها ، محترقا مرة بعد الأخرى .

خمس ليال كاملة يكتب كالمحموم ، يكاد لا يرى سوى صور تتبادل مواقعها كالومض بلا نهاية ، صور تتغير قليلا كل مرة ، تختفى ، وتظهر كأنها أخرى ، تتدفق فى سيل متوهج من حمم مصهورة، ويقتطف من اندفاعها كلمة أو نظرة كزهرة من النار ، يتأملها بين يديه فتفتر وتعتم ، فينظر إلى ما كتبه بتشكك ، ويشطب فقرات كاملة ، ينهض ويتجه إلى المطبخ ، يفتح علبة طعام محفوظ ، يأكل مافيها باردا وعقله فى الورق ، يشطف أطراف أصابعه ويرجع للكتابة ، يريد أن ينتهى قبل أن تفلت من بين يديه ، قبل أن تهرب من روحه ، خمس ليال لم يرفع خلالها سماعة الهاتف، وكانت تمر من أمامه فتستفسر منه عن شىء ، فيجيبها بعصبية وبجفاء لم تعهده ، أو ينهرها طالبا منها أن تسكت ، أو يتجاهلها تماما كأنها لم تقل شيئا . ينهض ويعد فنجان قهوة ، يجلس من جديد . فى الرابعة فجرا ، كان قد أودعها كل مالديه ، فنهض شاحب الوجه واليدين خاويا كالشبح . ألقى بنفسه على الفراش تحت ضوء النافذة الخافت وأحس بالراحة ، كمن تخلص من عبء ثقيل . فى تلك اللحظة وقفت هى فى ركن الحجرة ، تأملته بنظرة مشفقة ، وهى تتساءل عما جناه من كل ذلك ؟ ثم انسلت بهدوء إلى الشرفة ومكثت هناك وحدها وهى تحس بالحزن لأنها أصبحت حرة .

فى الصباح أعد لنفسه طعام الإفطار ودخل الحمام ليحلق ذقنه ، رأى عينيه حمراوين من قلة النوم، واستغرب وجهه . ارتدى ملابسه وغادر البيت إلى العمل مرهقا ، وحين عاد إليها وجدها جالسة قرب الراديو بهدوء ، فى بلوزة محبوكة وجونللة واسعة ، شعرها منسدل على جانبى وجهها ، وقد أسندت ذقنها إلى قبضتها . لم تنهض ، لم ترفع يديها لأعلى لتستقبله بفرح ، لم تثب وتجرجره خلفها لتريه شيئا جديدا، فقط جلست بعينين رصينتين

www.ibtesama.com Exclusive

تستمع إلى أغنية .

فى عصر ذلك اليوم ارتفعت درجة حرارتها فجأة ، فصارت تفتح أدراج الخزانات بحثا عن أسبرين وهى تهذى تقريبا ، دار حولها بقلق ، وحين تحسس جبينها وجده كالنار ، وفى انتظار الطبيب سألها مفزوعا : ماذا بك ؟ أجابته بكلمات مهشمة غير مفهومة وهى تشير إلى صدرها . ثلاثة أيام مضنية مرت ، يطعمها ويسقيها ينظر إليها برجاء وهى راقدة فى السرير ، وفى اليوم الخامس بدأت تتماثل للشفاء ، فتطلع إليها بفرح وقد زال خوفه، لكنها تأملته بعتاب صارم ، بنظرة أقرب إلى القسوة ، كأنما لم يربط بينهما شىء من قبل . حين استعادت عافيتها تماما بدأت تتحرك داخل المنزل بوجه شاحب ، تحرك رأسها ببطء ، وتمشى بحرص كامرأة كبيرة محبطة . أمسك بذقنها بأصابعه النحيفة ونظر فى عينيها ليدرك ما الذى طرأ عليها ، غير أنها أفلتت منه بفتور.

جلس فى الشرفة وبيده قدح ساخن من الشاى، تتوالى أضواء السيارات تخترق عتمة الشارع ثم تتوارى . ما الذى بدلها هكذا ؟ كأنها شخص آخر؟ ومن أين تسللت إليها برودة الصقيع الذى يطبق على كل شىء؟ أهى الوعكة التى ألمت بها ؟ أم أنها تصد بشبابها ما تقطر على جدران حياته من إحباط وشك ؟ مدركة أن عليها أن تصارع من أجل حياتها هى ، بمخاوفها وآمالها هى ، بعيدا عنه؟

نهض وقد شبت فيه الرغبة أن يعانقها بحرارة ، لأنها لم تستسلم، ولم ترضخ لليأس. اتجه إلى حجرتها، دخل فلم يجدها هناك، وقبل أن يستدير خارجا لمح خطابا ملقى على غطاء السرير، عاد وتناوله باستغراب، فوجد رسالة بدون توقيع يصرح فيها صاحبها أنه يحترق شوقا إليها كل يوم ، وأن عينيها لا تفارقان مخيلته. أيكون ذلك الشاب الأسمر النحيف الذى أحنى لها رأسه بإعجاب ؟ . ثم برق فى رأسه خاطر عجيب ، فرج الهواء بالخطاب فى يده متسائلا - أيشبه هذا خطها ؟ هل أرادت أن تنقل له شيئا على هذا النحو ؟ وإلى أين خرجت ؟

ألقى نظرة سريعة على ساعته وهو يرتدى ملابسه ، وغادر البيت هو

www.ibtesama.com Exclusive

الآخر يذرع الشوارع القريبة من دون هدف ، ثلاث ساعات مشاها ، عاد بعدها وحين فتح باب الشقة وجدها أمامه ، واقفة خلف الباب وبيدها حقيبة صغيرة ، كأنما كانت تنتظر رجوعه . وقفت أمامه مكتملة الجمال ، بنظرة المرأة التى صهرتها العاطفة فأصبح كل ما فيها يبث الدفء ، وقفت متأهبة لتشق الكون، وتتعرف على حقيقتها ، حين تتحطم على الصخور ، أو وهى تنجو من الرياح بمعجزة ، هى الآن لا تبالى إلا بنفسها ، لكن بحزن . حدق فيها طويلا ، مستفسرا عن شىء لا يعرفه ، فنظرت إليه كما يتطلع المرء إلى شخص أمامه، يملى عينيه منه بعمق استعدادا لكى لايراه ، ثم غامت عيناها بعتاب ، وارتعشت شفتاها . تقدم نحوها وعيناه مفتوحتان على آخرهما بذهول . خطت نحوه خطوة ثم توقفت. رفعت كتفها اليمنى وأوشكت أن تقول شيئا ثم تراجعت وأحاطت عنقه بذراع واحدة . أحس بوجهها دافئا دامعا . تراخت يدها ، تركته ، ثم سارت أمامه وانصرفت . هبط على السلم خلفها ، وتبعها إلى خارج البيت. أرسل بصره خلفها وهى تمضى بالحقيبة ، إلى أين ؟ إلى ماذا ؟

انعطفت إلى شارع جانبى وتوارت خلف الناصية وهو متجمد فى مكانه . ظل لديه أمل أنها قد تعود فى المساء ، فى الليل ، فى الفجر ، انتظرها بكل ما فى روحه من عصب وعاطفة وطاقة وهو يحدث نفسه بأن الانتظار الحقيقى حين يكون بكل كيان الإنسان يفتح طريقا للنفوس ترجع عبره . لم ينم إلى الصباح ، ولم ترجع، فأيقن أنها لن تعود ، وأنه فقدها إلى الأبد .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

8

نظام جديد

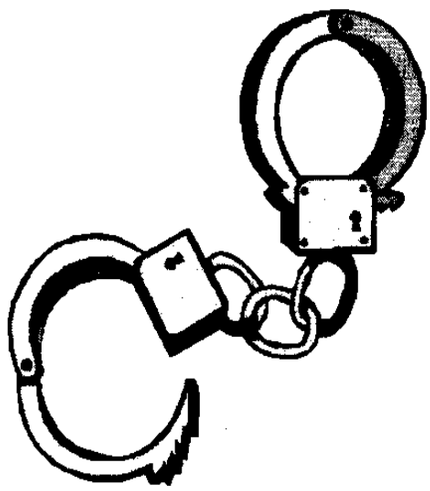

وصار يقضي أغلب وقته معهم صامتا ينفخ دخان النرجيلة مرسلا بصره إلى المارة . لكن الحيرة كانت تسكن أعماقه ، مثل سمكة قرش مختفية .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كان د . فخرى الفيومى ينظر لمن يحدثه نظرة شك عميق ، كمن يقلب ببصره بضاعة مريبة ، أحيانا نادرة كان يجازف سائلا بصوته المهذب الخفيض :

- حضرتك نظام جديد ؟

فيجيبه الآخر بحيرة :

- نظام جديد ؟! ماذا تعنى ؟

فينكس د. فخرى عينيه على نظرة باسمة مريرة كمن يقول " دعك من هذا اللؤم " ويغمغم :

- النظام الحالى ؟

فى أغلب الحالات كان يتلقى ردا واحدا مصحوبا بدهشة :

- ماذا تقصد ؟ لا أفهم؟

فيزووم د . فخرى ويصمت طاويا نفسه على حيرته، ويغير موضوع الحديث .

بدأت حكاية الشك هذه عندما فوجئ د . فخرى باستدعائه إلى المباحث العامة منذ نصف السنة ، كان ذلك عقب اجتماع حاشد فى الجامعة جرفته الحماسة خلاله فقال كلمتين تجاوز بهما سقف المسموح . وندم بعد ذلك أشد الندم ، وقالت له زوجته : يا فخرى أنت أستاذ كبير عندك كتبك وأبحاثك مالك ومال كلام الشباب؟! . فأجابها : عندك حق .

وفى اليوم المحدد لاستدعائه وصل إلى مبنى الداخلية فى الموعد المعين، واستقبله ضابط شاب لبق قاده بترحاب إلى حجرة ضيقة ثم قال له بنبرة آسفة :

- يا دكتور .. آسف جدا .. نحن مضطرون إلى اعتقالك !

تغيرت ملامح د. فخرى على الفور ، فالاعتقال آخر شىء خطر له . كان أقصى ما توقعه أن يطرق معه عميد الجامعة موضوعا عاما ويدس فى ثنايا

www.ibtesama.com Exclusive

حديثه عبارة لوم وتحذير ، أما الاعتقال ؟! مد ساقيه وجال بعينيه فى جو الحجرة وهو يشعر بهبوط . وحدث نفسه " أيعقل أن تهدم كلمتان عابرتان حياة كاملة ؟ " . فكر فى زوجته وولديه كمن يودعهم ، وفى حجرة مكتبه وأبحاثه ، وصعبت عليه نفسه ، وحاول أن يتذكر من الذى جرجره إلى ذلك الاجتماع المشئوم .

اعتدل الضابط الشاب ببسمة خفيفة كمن يصحح خطأ :

- لكن اطمئن يا دكتور ولا داعى للقلق .

دبت الدماء فى أوصال د . فخرى كمن ألقى إليه بطوق نجاة وجمع ساقيه الممدودتين واستجمع أمله :

- كيف ؟

- لأنك ستواصل حياتك كما اعتدتها .

وأضاءت وجه الضابط بسمة من يقدم عرضا سحريا ويثق بحكم الخبرة أنه سيلقى الإعجاب:

- أنت تتجه إلى الجامعة يوميا فى التاسعة صباحا ؟

- نعم . بالضبط .

- تعود إلى البيت تقريبا فى الثانية ظهرا ؟

- تماما .

- عصر كل ثلاثاء تلتقى بأصدقائك القدامى فى مقهى " سهر الليالى " ؟

- مضبوط يا أفندم . المعلومات كلها سليمة .

ضحك الضابط بسرور .

- ولن يتبدل شىء من كل هذا . ستواصل حياتك كما كانت !

تجمد وجه د. فخرى عاجزا عن الفهم وطلع صوته كأنما من جب عميق :

- أواصل حياتى ؟ و.. وماذا .. ؟

- كل ما فى الأمر أن لدينا الآن نظاما جديدا .

- جديدا ؟ أى نظام ؟

- ألا تسمع عن سجون فى الخارج تسمح لنزلائها بمغادرة السجن وزيارة أهاليهم ليوم أو اثنين ثم العودة بعد ذلك ؟

www.ibtesama.com Exclusive

- أسمع .

- هى التجربة ذاتها . إذا كانت الثقة فى المعتقلين أمرا ممكنا بحيث نسمح لهم بقضاء يوم مع عائلاتهم، فما الذى يمنع أن نسمح لهم، ليس بيوم لكن بعدة أيام ؟ بل وبقضاء فترة الاعتقال كلها فى الخارج ؟!

قطب الدكتور فخرى ما بين حاجبيه وتقلقل على الكرسى وسأل بريق جاف :

- وكيف يكون اعتقالى إذن؟ أقصد من الناحية الإجرائية ؟

- يكفى أننا قمنا بإبلاغك . العملية كلها ثقة .

طرف د. فخرى بعينه اليمنى ثم بحلق فى وجه الضابط الشاب الذى نهض واقفا وابتسم بكياسة وهو يهز يد د . فخرى مصافحا :

- نحن الآن نعتمد على الضمير .

وأشار إلى باب الحجرة : شرفت ونورت . تفضل . من هنا .

●●●

غادر د. فخرى مبنى الداخلية ، وسار بخطى هادئة دون أن يلتفت خلفه ، تمنى لو بلعته الأرض كما تبتلع الصحراء قطرة ماء فيختفى بعيدا عن المبنى . كان بحاجة إلى المشى طويلا وحده ليعيد ترتيب رأسه المشوش، فسار حتى ميدان التحرير و فى الطريق برقت أمامه الكلمتان اللتان أفلتتا منه فى الاجتماع . ألا يحق له أن يقول شيئا للمصلحة العامة ؟ قل ، لكن لا تتسبب فى تجويع أولادك فليس ثمة مبادئ بعيدا عن بشر بعينهم. والحقيقة ؟ فرصتك لنشر الحقيقة بالعلم والتنوير أكبر طالما قدرت نعمة الحرية لكن ما جدواك وأنت رهين زنزانة؟ . مع ذلك فإننى معتقل الآن؟ نعم لكنك حر أيضا . ساقته قدماه حتى شارع رمسيس فتوقف فى الميدان يرقب زحمة السيارات والبشر حائرا أيفرح بوضعه الحالى أم يحزن؟

صباح اليوم التالى راقب د . فخرى زوجته وولديه ساعة الإفطار وهم يتناولون الطعام، فلم يتلمس فى نظراتهم أو حركاتهم أية إشارة إلى اعتقاله، كانوا يحشون أفواههم بالبيض المسلوق والجبن دون أن يعيروا أى اهتمام لشىء آخر . فى العمل أيضا لم يتوقف أحد عند الموضوع ولو بنظرة أو سؤال عابر. فى البداية أثارت تلك اللامبالاة دهشته، ثم تذكر أن اعتقاله حسب النظام

www.ibtesama.com Exclusive

الجديد يجعل من الصعب تمييزه عن غيره ، فصار يتردد على محاضراته بانتظام ويقول لنفسه وهو فى طريقه إلى العمل " ينبغى أن أعيش على أساس أن شيئا لم يحدث مع مراعاة أن شيئا قد حدث ". خلال عدة شهور اعتاد د . فخرى على النظام الجديد ، لكن حيرته كانت تشتد فى الشارع وفى الباصات أو داخل محلات البقالة وهو يدقق النظر فى وجوه الناس ، فلا يجد ما يستدل به على أن الشخص " معتقل نظام جديد " أم لا . فكف عن التحديق فى ملامح الناس وأخذ ينصت إلى ما يقولونه ، فوجد معظمهم يقولون الشىء وضده ، ويؤيدون موقفا وعكسه ، يدعمون مواقع خصومهم بحرارة ، ويرحبون بمقترحات أصدقائهم بفتور، فلم يستدل على شىء ، وكان عقله يثب من ناحية إلى أخرى فى تحديد وضعهم : معتقلون نظام جديد ؟ أحرار ؟ إلى أن تعب تماما فتوقف عن محاولة تمييز هؤلاء من أولئك ، واكتفى بالحذر فى أحاديثه وشاعت فى كلامه رصانة تضع القضايا كلها على قدم المساواة ، وقل كلامه فى المقهى مع أصدقائه وصار يقضى أغلب وقته معهم صامتا ينفخ دخان النرجيلة مرسلا بصره إلى المارة . لكن الحيرة كانت تسكن أعماقه ، مثل سمكة قرش مختفية ، تثب فى لحظة وتنقلب إلى نظرة شك مسددة نحو من يتحدث إليه ، فيجازف د . فخرى سائلا بصوت خفيض:

- حضرتك نظام جديد ؟

فيجيبه الآخر بحيرة :

- نظام جديد ؟! ماذا تعنى ؟

فينكس د. فخرى عينيه على بسمة مريرة :

- النظام الحالى ؟

ولا يتلقى ردا شافيا .

لكن تلك الحال لم تدم طويلا ، فبعد نصف العام تقريبا تلقى د. فخرى استدعاء جديدا فاتجه إلى مبنى الداخلية مرة أخرى ، وسار فى ذات الردهة الطويلة الكئيبة إلى الحجرة الموحشة العارية الجدران . هناك نهض الضابط الشاب وصافحه بترحاب شديد قائلا :

- تفضل بالجلوس يا دكتور . لن أطيل عليك. أردت فقط أن أزف إليك نبأ

www.ibtesama.com Exclusive

سارا ..

- خيرا إن شاء الله ؟

- تقرر إطلاق سراحك !

- سراح من ؟!

- سراحك أنت .

- أنا ؟!

- نعم . صدر بالأمس قرار بالإفراج عنك مع خمسة آخرين .

جلس فخرى حائرا .

- إذن .. أنا حر ؟

- نعم . وأرجو بالطبع أن تقدر أن ما حدث كان إجراء للصالح العام . الآن واصل حياتك كما كانت ! أنت تتجه إلى الجامعة يوميا فى التاسعة صباحا ؟

- نعم . بالضبط .

- تعود إلى البيت فى الثانية ؟

- تماما .

- تلتقى بأصدقائك القدامى فى مقهى " سهر الليالى " عصر كل ثلاثاء ؟

- مضبوط يا أفندم .

ضحك الضابط :

- أكرر التهنئة .

وأشار بأدب إلى باب الحجرة :

- واعلم أننا الآن نعتمد على الضمير !

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

9

ندم

تناول الأقلام وحشرها في جيب الجاكتة، ثم أخرج عشرة جنيهات وأعطاها إياها. كان أنفها محمرا وعيناها محتقنتين وهي تبحث في كيس أسود صغير عن بقية المبلغ لترده إليه.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

خرج

من جناح الكتب العلمية إلى الشارع الممتد بين معارض الكتب . أحس بساقيه ترتعشان من إرهاق جولته الطويلة داخل المعرض فتوقف وبيده ربطة الكتب التى اشتراها . كان الجو مشبعا بمطر وشيك ، والهواء البارد يضرب فروع الأشجار الداكنة ويشتت أضواء أعمدة النور فى العتمة الخفيفة فى رذاذ متوهج .

لبث بمكانه لحظة مرهقا . وفجأة تمكن منه الاستياء حين تصور ما سيجده عند عودته للبيت : قمصان مرمية على مساند الكراسى . أعقاب سجائر فى أكواب تحت حافة السرير . أطباق بوساختها فى الحوض . وحين يقدم الطعام لإبنه الصغير سيمط الولد شفته ويقول برفعة : " بس ماما ما بتعملش كده " !

على الرصيف المقابل لمح فتاة واقفة تحت شجرة وارفة ، و جزء صغير من ضوء القمر على كتفها . زر عينيه ليراها بدقة . متوسطة الطول ، نحيفة ، لفت رأسها ووجهها الشاحب بإيشارب . لمحته هى الأخرى بنظرة جانبية سريعة . فى الشارع ما بينهما مر رجل عجوز ، فهبطت من الرصيف إليه ، أحنت كتفيها بأدب ناحيته ، ومدت يدها إليه بحافظة وحاولت بغمغمة إقناعه بشراء ما لديها . لكن الرجل لوح بيده دون أن ينظر ناحيتها مواصلا طريقه . عادت لمكانها تحت الشجرة وأطراف جونلتها تهتز بخفة . عبر الرصيفين تبادلا نظرة انطوت على خجلها منه كشاهد على إحباطها وعلى مواساة هينة من ناحيته . فى هبوطها وصعودها ، كان يهف حولها هواء خاص، نظيف ، مثل أول عطر تطلقه الزهرة .

عبر الشارع إلى الرصيف الآخر حيث تقف . تأملته بحذر وهو يدنو منها . الآن يرى وجهها . ربما تكون فى الثامنة عشرة لا أكثر . تدرس؟ أم كانت تدرس ثم قطعت تعليمها ؟ والدها حى ؟ أيعلم أنها تقف هنا حتى هذه الساعة المتأخرة فى البرد ؟ . تنشق من حولها رائحة أوراق الشجر المبتلة ولاحظ أن

www.ibtesama.com Exclusive

ملابسها رخيصة لكنها نظيفة ومكوية بعناية . أصبح أمامها ، فهبطت وخطت نصف خطوة ، ومدت يدها إليه بحافظة بلاستيك تحتوى على خمسة أقلام . قالت بصوت مرتجف : هذه الأقلام تباع عادة بعشرة جنيهات ، لكن شركتنا بمناسبة معرض الكتاب تقدم لك تخفيضا وتبيعها بخمسة جنيهات فقط ، فإذا اشتريتها حصلت معها على ممحاة مجانا .

تناول منها الحافظة ، وتظاهر أنه يفحصها باهتمام . تأملته الفتاة وهى تحصى فى بعقلها عدد الأقلام التى باعتها . قالت لنفسها : " لو أنه سيشترى هذه أكون قد بعت عشرة ، فأنصرف لأتعشى مع أمى وأخوتى " .

راح يقلب الأقلام بين يديه ، ثم قرب واحدا منها إلى عينيه وهو منساق داخليا لدفء يبثه فى أعصابه قوام الفتاة المشدود ، وخيالات الاعتصار التى تضوى بها البرتقالة الصلبة .

نظر إليها . صغيرة، مهذبة ، ومشتتة فى البرد . ضمت شفتيها بأدب وظلت صامتة تنتظر إجابته. أراد أن يسألها عن أشياء كثيرة ، كيف تعيش ؟ وأين ؟ كم عمرها ؟ هل تعلق قلبها بأحد أم أنها مازالت لا تعرف الحب ؟ ما الذى تود أن تفعله بحياتها ؟ لكنه استفسر منها بصوت مضطرب عن شىء آخر تماما :

- قولى لى صراحة كم تكسبين من عملك هذا طيلة اليوم؟

وحتى فى العتمة الخفيفة كان من الممكن ملاحظة أن وجهها الشاحب قد تورد قليلا وهى تتمتم مرتبكة :

- حسب الظروف .

- لكن هذا عمل مرهق؟

تطلعت حولها بقلق يمينا ويسارا :

- نعم .

وأضافت على الفور بصوت نحيف مرتجف كأنها تبتهل:

- الأقلام جيدة . لن تندم . يمكن أن تجرب واحدا منها .

سنواته الأربعون ، وخبراته ، وخيالات الاعتصار ، ووجود الفتاة وحدها ، وشعوره بقوته ، وأمله أن يملأ روحه بهواء الزمن الشاب ، كل ذلك أطلق العنان للجرأة . قد يصطحبها إلى البيت ويدفع ابنه الصغير للنوم باكرا ، يمكن أن ..

www.ibtesama.com Exclusive

كبح جماح نفسه قائلا :

- ألا تودين أن تستريحى قليلا فى كافيتريا المعرض؟ نشرب قهوة معا ؟

أدارت وجهها بشفاه مرتعشة مثل أرنب فى مصيدة .

- شكرا . الوقت متأخر . لكن بالنسبة للأقلام ..

قرر أن يقدم على خطوة حاسمة :

- يمكنك أن تأتى معى لمساعدتى فى ترتيب الكتب لساعتين أوثلاث لا أكثر وتحصلين على مئة جنيه مرة واحدة ؟ أليس هذا أفضل؟ عمل مجز ولن تتعبى ..

أدركت ما الذى يقصده . ارتعشت ذقنها . تراخت يدها الممتدة بحافظة بالأقلام ولمعت عيناها وهى تطرف بخجل وتمتمت :

- شكرا . شكرا . آسفة ، لكن لا أستطيع .

وتراجعت ووجهها له عائدة إلى موقعها على الرصيف . لحظة ثم دفعت نحوه الأقلام بيأس :

- لكن .. إذا أردت .. إذا أعجبتك الأقلام . أنا نفسى جربتها ، أقلام جيدة .

انطفأت رغبته كما تنطفئ شمعة من هبة هواء . هى صغيرة حقا لكنها ليست ضعيفة كما تبدو. أحس بالخجل . ابتسم ابتسامة متوترة محبطة ، وأمعن النظر إليها قائلا :

- أنا آسف . طبعا . أردت فقط أن .. قلت ربما تكونين بحاجة لمبلغ ذى قيمة . لكن مفهوم .. طبعا .. طبعا .

تناول الأقلام وحشرها فى جيب الجاكتة ، ثم أخرج عشرة جنيهات وأعطاها إياها . كان أنفها محمرا وعيناها محتقنتين وهى تبحث فى كيس أسود صغير عن بقية المبلغ لترده إليه .

لوح بكفه : لاداعى .

ترددت ثم قالت بامتنان :

- متشكرة قوى .

طفا بداخله شعور دافىء ناعم بحزن خفيف وبالشفقة عليها وعلى نفسه، ولم يجد شيئا ليقوله . الأفضل أن ينصرف ، لكن قدميه ثقيلتان كالرمل ، مرتبكتان . تحرك بالكاد وهو يهز رأسه لها عدة مرات ، ما الذى أراد أن يقوله

www.ibtesama.com Exclusive

لها بهذه الهزات المتتابعة ؟ . أولاها ظهره ومشى ببطء نحو بوابة الخروج من المعرض . سار بتراخ و حين شعر أن نظرتها مسددة إلى ظهره شملته رجفة من تم ضبطه بجرم فخارت قواه . أراد أن يعادل شعوره بفداحة الخيبة ، بشعور آخر بأنه ليس سيئا كما بدا ، فعاتب نفسه على قسوته مع إبنه الصغير، وعلى مغامراته العاطفية التى أفسدت علاقته بزوجته ، وحتى على أنه يطفىء السجائر فى أكواب الشاى ، وتمنى لو تغيرت حياته كلها .

تابعته الفتاة ببصرها وهو يسير مبتعدا بظله الطويل خلفه . ماذا لو كانت قد ذهبت معه لساعتين أو ثلاث؟ عيب؟ ألم تكن هذه الإهانة السريعة لتحفظ لها كرامتها مدة طويلة؟ وتجعلها تتخلص ولو مرة من الحرج حين تدفع زميلاتها حساب المشروبات فى مقهى الكلية بينما تتشبث هى فى كل مرة بأقصى قدر من برودة الأعصاب حتى توشك على البكاء؟ . بمائة جنيه كان يمكنها أن تشترى البلوزة الوردية وغيرها . من كان سيدرى لو أنها رافقته إلى منزله ؟ كان بوسعها أن تغمض عينيها فى تلك اللحظات وتفكر فى أى شىء آخر حتى يتم الأمر وينتهى بسرعة؟ لماذا فوتت هذه الفرصة ؟ .

اقترب من بوابة الخروج الحديدية . شىء ما ، قبل أن يجتاز البوابة ، جعله يتوقف وينعطف برقبته ناحيتها . كانت مازالت واقفة فى الجو الغائم ويدها مرتخية بالحافظة .

أرسل إليها نظرة مركزة مشبعة بالندم والاعتذار . كان بصرها هى الأخرى مثبتا عليه . تساءل ما الذى تعنيه هذه النظرة ؟ وهذه الابتسامة الخفيفة المتشنجة ؟

www.ibtesama.com Exclusive

10

بدلة

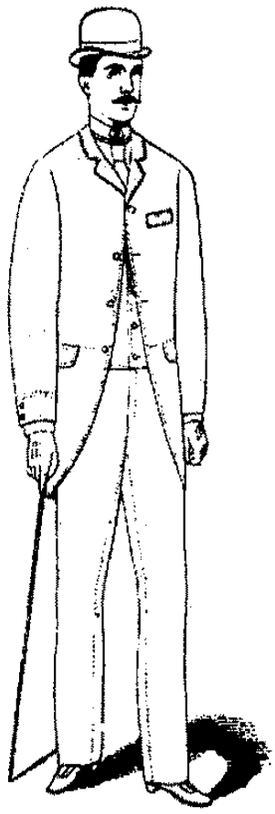

حين رجعنا إلى البيت جلسنا فى شـــقـــتى ، وابراهيم غائب عن وعيه تقريبا ، رأسه ملقى خلفه على مـــسـند الكرسى ، وخالى ينظر إلى البدلة بعـــينين مـــتـــأثرتين دامعتين قائلا : شكرا يا باشا.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

هبطت علينا البدلة فى تلك الليلة التى استيقظ فيها عم يوسف على صوت قرقعة فى الفجر، وقال إن حلما كان يطارده طيلة نومه بأنه محصور يبحث عن تواليت وكلما وجد واحدا رأى بابه مغلقا، وفى المرة الأخيرة ظل يقرع الباب بقوة حتى استيقظ على صوت قرقعة بعيدة ، فنهض ونظر من البلكونة إلى الشارع ولمح شابا يرمح تحت البيت أمام عربة كارو يقرقع خلفها على الأسفلت غطاء بالوعة . شهق عم يوسف : ياابن اللصة! واندفع يطرق باب شقة إبراهيم بك المواجهة له صائحا " يا سنيور إبراهيم الحقنا " . فتح إبراهيم الباب ووقف مستنفرا فى بدلة ضابط الشرطة وبيده زجاجة ويسكى. هبط الاثنان السلالم بسرعة وهما يطرقان أبواب شقتنا أنا ومحمد وحسن . فخرجنا وهرولنا خلفهما بالبيجامات والفانلات والنوم فى عيوننا . الدنيا آخر الليل ونحن نسترشد بين عتمة البيوت وظلالها بقرقعة غطاء البالوعة وصوت عجلات الكارو. جرينا فى كل اتجاه، وإبراهيم يترنح من السكر مندفعا فى كل ناحية ويده مرفوعة بالطبنجة فى الهواء زاعقا " وقف عندك يا كلب ! طاخ ! " ويطلق عيارا فى الفضاء ! ، فنستعدله على طريق اللص هاتفين " من هنا يا إبراهيم.. من هنا " . مرق اللص بالكارو بين العمارات الجديدة نحو الشارع الرئيسى ، ونحن وراءه حتى أمسكنا به من قميصه فتمزق بين قبضاتنا، ولطمه إبراهيم بقوة على صدغه فسال من ركن فمه خيط دم ، وفى تلك اللحظة برز من خلف البيوت ثلاثة عساكر غشى النعاس مشيهم ، وما أن شاهدوا بدلة إبراهيم والنجوم النحاسية تبرق على كتفيها حتى أظهروا احترامهم بصفعات ساخنة طرقعت على قفا الولد ووجهه،يضربونه ويختلسون النظر إلى البدلة " أيكفى هذا؟ " . الولد كان فى نحو العشرين ، وقف مخطوف اللون إلى جوار الكارو بشبشب بلاستيك وبنطلون ضيق كأنما ليس له ، ويده ترتجف على رقبة الحصان الهزيل ، يترنح من قوة اللطمات ، ثم يعتدل متماسكا ، وبعينيه الواسعتين بريق من الوحدة

www.ibtesama.com Exclusive

والوحشة .

أعاد العساكر غطاء البالوعة إلى مكانه وسحبوا الولد متجهين إلى القسم ، ورجعنا نحن على مهل وأعصابنا المشدودة ترتخى فى النسيم والسكون . خلال دخولنا العمارة خامرنى شعورغريب كأن طيفا من قماش ونحاس تسلل بيننا إلى المبنى خلسة .

بعد نحو أسبوع اجتمعنا كعادتنا فى الجمعة الأولى من الشهر فى شقة محمد، وجلسنا لنناقش بصفتنا اتحاد ملاك العمارة ما يمكن عمله وتكلفته ، وطالب عم يوسف بشراء خرطوم مياه جديد لرى الأشجار، وألح محمد وهو يذكرنا بسرقة غطاء البالوعة على ضرورة تركيب باب حديدى لمدخل البيت يحمى الشقق . وكان إبراهيم بك ظريفا كعادته، يوافق على كل شىء بسهولة ولايمانع فى دفع أى مبلغ، واكتفى بالقول : اعملوا أى شىء أنا جاهز. كنا قد قلنا كل ما لدينا ، فلزمنا الصمت لحظات نشرب القهوة ، وفجأة مسح عم يوسف على شعر رأسه الفضى بيده وقال لإبراهيم : " يا مستر إبراهيم ، يرفضون أن يحسبوا لى سنوات خدمتى فى إيطاليا ضمن المعاش، المسألة تحتاج لمشوار واحد منك معى " . تخيلنا جميعا أثر البدلة فى موظفى المعاشات فنظرنا إليها بدون قصد، ولاحظ إبراهيم ذلك فعبرت وجهه سحابة خفيفة من الضيق ولم يقل شيئا . وأحس عم يوسف بامتداد الصمت وأراد قطعه فتذكر أيام كان يعمل منذ أربعين عاما فى فرع الشركة السياحية بروما وكيف تعرف على مارجريت وتزوجها ثم استعاد أيامها الأخيرة قبل وفاتها حين كانت تنادى على أمها بالإيطالية ونهنه وبكى سائلا إبراهيم : ستأتى معى إلى المعاشات؟. وذهب معه إبراهيم بالبدلة وتمت تسوية المعاش .

كنا نعتمد كثيرا على أريحية إبراهيم الذى كان يعشق الملابس الجميلة والكولونيا ، ويصعد تقريبا كل ليلة سلالم العمارة إلى شقته مخمورا ، فإذا سمع أحدنا وقع خطواته وخرج إليه متوددا " انتبه لصحتك يا إبراهيم بك " ، قهقه ضاحكا وهو يترنح سائلا : سمعت آخر نكتة ؟! ويجذب الخارج من كتفه قائلا : تعال .. تعال . ويسحبه إلى شقته فى الطابق الثالث ، وبينما زوجته وإبنه نائمان يضع زجاجة براندى وخيار مخلل وجبن رومى فيشرب معه سعيد

www.ibtesama.com Exclusive

الحظ منا حتى آخر قطرة ناصحا إياه "انتبه لصحتك شوية يا إبراهيم ". يوما بعد آخر تأكد لنا أن للبدلة وقع السحر حيثما تظهر، فهى التى حلت مشكلة السرير المكسور الذى اشتريته بالتقسيط حين رفض صاحب محل الموبيليا استبداله، وهى التى وقفت مع حسن عندما طالبه الميكانيكى بسداد ثمن دبرياج إدعى أنه ركبه فى سيارته، وهى التى حضرت عرس بنت أخت عبد الحفيظ جارنا فتباهت أمها بالبدلة وصارت تزغرد بملء الفم قائلة للمعازيم : تفضلوا .. سلموا على الباشا . وصرنا عند أول بادرة من حاجة أو مأزق نستنجد بالبدلة .

فى ديسمبر من هذه السنة ترقى إبراهيم ووضع نجمة جديدة فوق كتف البدلة ، وعمت الفرحة شقق الطوابق الأربعة كلها، وعلقنا أسلاك بلمبات ملونة فى الشارع، ولعلعت من المسجل والسماعات أغانى الأعراس ، ورتبنا وليمة من الكباب والسلاطات والتفاح ووضعنا فى الوسط طورطة كبيرة غرسنا فيها شمعة واحدة . ووصل إبراهيم بعد ساعة ضاحكا حاملا زجاجتين وحكى لنا أنه انتقل بعد الترقية إلى حجرة كبيرة مكيفة مخصصة له وحده، وظل يشرب ونحن نضحك ونهنىء أنفسنا حتى بلغ غاية السكر ومال برأسه على الكرسى أمامنا ونعس وتصاعد شخيره . وقف حسن ونظر من على مسافة إلى النجمة الجديدة سعيدا وقال : جميلة فعلا . وتطلع محمد إلى البدلة بفرح وصفق بيديه على إيقاع مرددا: من قدك ياباشا ؟ ، وعم يوسف يتمايل برأسه ويرد : باشا يا باشا !

تألقت البدلة بعد تلك النجمة، وازداد حضورها قوة ، ولم يعد شىء تقريبا عصيا على تأثيرها، فتمكنت من التوسط لسيدة من أقاربنا فى العمل بمكاتب المبعوثين فى الخارج وفى تعيين شاب آخر صحفيا فى جريدة مرموقة ، وعشنا معها ونحن نشعر جميعا أنها ترعانا وتعطف علينا حتى ذلك اليوم حين طرقت بابى زوجة إبراهيم تستنجد بى لنقله إلى مستشفى. وهناك فاجأنا الأطباء بقولهم إن إبراهيم بحاجة إلى عملية بسيطة ومع ذلك فإن إجراءها مستحيل لأن كبده المشبع بالكحول لن يحتمل تخدير الجراحة. ظل إبراهيم فى المستشفى نحو أسبوع عاد بعده إلى بيته هزيلا وشاحبا ، بعدها لم يعد يتردد

www.ibtesama.com Exclusive

على عمله سوى يومين فى الأسبوع يهبط فيهما السلالم بمساعدة زوجته أو ابنه. وكنا نزوره نحن الأربعة أنا ومحمد وعم يوسف وحسن ، إما معا أو بالتناوب ، فنجده جالسا على الأرض فى الصالة بجلباب واسع ، ظهره مسند إلى حافة الأريكة خلفه ، يكلمنا ببطء من يجد صعوبة فى الفهم والتركيز . وتعطلت مصالح صغيرة لنا ولبعض أقربائنا هنا وهناك عندما قل ظهور البدلة ، وأكد عم يوسف أن الحسد هو السبب فيما جرى لنا ، وتذكر فيلما إيطاليا شاهده فى روما باسم " العين الشريرة " وقال " نسيت أحداثه لكن موضوعه كان الحسد ".

عندما توارت البدلة بالتدريج فارقتنا تقريبا تلك الثقة التى كنا نقدم بها على حل أى مشكلة ، وصرنا أميل إلى التأنى ، ولم نلجأ للبدلة بعد ذلك سوى مرة واحدة ، حين لم يكن أمامنا سبيل سواها . حدث ذلك عندما رفض خالى وهو أستاذ جامعى عجوز اعتماد بحث علمى مسروق تقدمت به للترقية عشيقة عميد الكلية، فعزله العميد من لجنة الأبحاث، وجاءنى خالى متأثرا يتمتم " أهذه نهاية خدمتى للعلم ؟" فصعدت مع محمد إلى شقة إبراهيم ، وحشرناه داخل البدلة ، وهو غير مدرك تقريبا لما يدور حوله ، وأجلسناه بيننا فى تاكسى كان منتظرا تحت البيت ، واتجهنا به وخالى معنا للقاء مسئول كبير أنهى الأزمة بمكالمة تلفونية وإبراهيم جالس يهز رأسه من حين لآخر دون أن يدرك شيئا وهو يردد : خير .. خير إن شاء الله . وفى طريق العودة ونحن داخل التاكسى التفت إبراهيم إلى محمد وسأله ببطء : ماذا قال الأطباء؟ . حين رجعنا إلى البيت جلسنا فى شقتى ، وإبراهيم غائب عن وعيه تقريبا ، رأسه ملقى خلفه على مسند الكرسى ، وخالى ينظر إلى البدلة بعينين متأثرتين دامعتين قائلا : شكرا يا باشا ، لولاك ما أنصفنى أحد فى هذه السن .

فى عصر اليوم التالى طرق صبى المكوجى باب شقتى ، حاملا البدلة على شماعة ، وقال إنه لم يجد أحدا فى شقة إبراهيم بك ، وترك البدلة عندى ، فوضعتها على ظهر فوتيه فى الصالة لحين صعودى لزيارة إبراهيم، وحدث فى تلك الليلة أننى استيقظت من النوم بسبب كابوس، فقمت ومشيت إلى

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

11

فرصة سعيدة

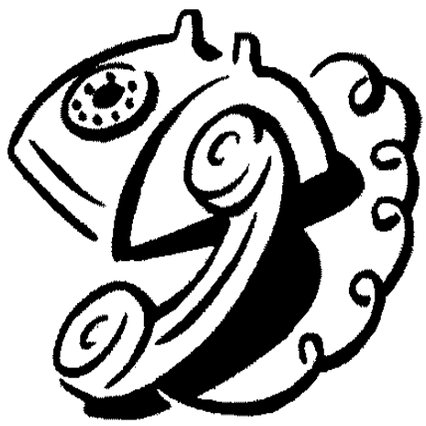

- أنا أعلم . أنت أسد كبير و جميل . أريدك فقط أن تعرف أننى أحبك وأننى أفكر فيك طوال الوقت. طوال الوقت. سأتصل بك فى اليوم الأول من كل شهر.
ماشى

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كنت أهتف " آلو ؟ " وأنا أحاول أن أخترق ببصيرتى ضبابا سابحا من ذوب محيطات وجبال وسماوات مفتوحة . " آلو " أريد أن أجتاز بها كل المسافات لأصل إلى قلبه الصغير وأصب فيه حرارة شوقى ومحبتى .

- آلو ؟

من بعيد جاءنى صوته الطفل رنانا مستفسرا وأنا أحاول أن أتصور تقاطيع وجهه :

- آلو .. من؟

هتفت :

- أنا .. أنا بابا يا حبيبى .

كنت أظن أننى سبحت فى ماء الغربة دون أن أبتل وأننى راوغت الغربة ونلت منها الشهادة العلمية والعمل والحب والزوجة دون مقابل ، لكنى حين عدت معها إلى موطنى رجعت هى بالولد إلى بلدها .

- بابا؟!

- نعم . أنا . كيف حالك؟

- بابا ؟ أهو أنت ؟

- نعم يا حبيبى . أنت بخير؟

- نعم . من أين تتكلم يا بابا؟

- من الشقة التى ولدت فيها . أتذكرها؟

- لا . هل تشبه الشقق عندكم القصور الكبيرة؟

- ليست كبيرة جدا ، لكن واسعة . فى ركن من الصالة دراجتك الصغيرة كما كانت ، وصورك ، حتى علبة الآيس كريم التى تركتها يوم سفرك مازالت فى الثلاجة . هل تذكر؟

كنت أتضرع إليه أن يظل قابضا على خيط من الأعوام الأربعة التى

www.ibtesama.com Exclusive

قضيناها معا وأن يظل متذكرا .

- نعم . لكن أنا الآن كبرت ، بعد شهور سأدرس فى الصف الأول.

- أنا أعلم . أنت أسد كبير و جميل . أريدك فقط أن تعرف أننى أحبك وأننى أفكر فيك طوال الوقت. طوال الوقت. سأتصل بك فى اليوم الأول من كل شهر. ماشى ؟ اليوم الأول من كل شهر؟

- هل عندكم ملاهى للأطفال؟

- نعم وفيها كل الألعاب. الجميع هنا يسألون عنك. أعمامك وعماتك، حتى الباعة فى المحلات المجاورة للبيت.

- لكن أنا نسيت .

- سأنتظر عودتك ، واعلم أننى أحبك.

- بابا .. أنا أدرس اللغة الإنجليزية الآن ، ولى أصحاب هنا ، منهم فرانسوا ، وجان ، وميشيل ، وحين أدخل دار الحضانة فى الصباح أضرب تعظيم سلام ، وأقول لهم : سلام، سلام .. إلى الدرس من غير كلام ، فيضحكون .

- لا تنس سأكلمك اليوم الأول من كل شهر . وسأنتظر عودتك . هل سترجع؟

- لا أدرى (ممطوطة) قل لماما ، هى التى ستقول هل نعود أم لا .

تحشرج صوتى مختنقا :

- مهما حدث تذكر دائما أننى أحبك .

هتف بحيوية ونبرة قاطعة :

- باى باى بقى .. أصحابى هنا فى البيت لازم ألعب معهم .

وأضاف بأدب :

- فرصة سعيدة .

قالها كما لو أنه يسير فى الشارع بصحبة أمه وصادف رجلا غريبا فقالها له بأدب الأطفال الذين يعرفون ما ينبغى قوله.

ظلت السماعة تطن فى أذنى فترة ببكاء طائر تاه عن السرب .

www.ibtesama.com Exclusive

12

حصان أحمر

تلك الليلة كانت باردة فالتصقت بجدتى التى فركت يديها فوق الحطب المتقد ، والظلال تتأرجح على وجهها ثم أكملت : ولم تكن هناك فى العالم أرض مثل غزة تجرى فيها الدماء بهذه الوفرة

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

بالأمس رأيت بين الحقول حصانا أحمر، كان يقف فى هواء أحمر خفيف فظننت أنه حلم لأنه لم يسبق لأحد أن شاهد حصانا بهذا اللون، ولم يأت ذكر شىء كهذا، فالخيول تولد بيضاء وسوداء ورمادية وشهباء وبنية وصفراء إلا ذلك اللون. تأملته ، كان يشبه بقعة حمراء كبيرة فى الأفق الشاحب، وتمنيت لو أننى رمحت فى الخلاء الواسع بحصان كهذا ، فخطوت خطوة واحدة بحذر شديد نحوه، لكننى ما أن تحركت حتى رفع الحصان قائمتيه الأماميتين عاليا فى الجو متراجعا ملفوفا بهالة حمراء خفيفة. تجمدت مكانى ، فعاد الحصان إلى وقفته ، ومال برأسه على الأرض يلوك أعشابا حمراء ثم عطف رقبته نحوى قليلا ليرينى عينين واسعتين مثل فنجانين ممتلئين بالدم ، فأطلقت ساقىّ للريح عائدا إلى مشارف القرية دون أن ألتفت خلفى ، وقلبى يدق بقوة .

وحين حكيت لجدتى فى المساء ما رأيته ، وأننى تمنيت لو أن لى حصانا كهذا ، حكت لى حكايته ، وقالت إن الخيل أحست ذات يوم أنها مهددة بالزوال، فتوافدت من كل بقاع الأرض إلى غابة معزولة ، واتفقت على أنها بحاجة إلى حصان نادر التكوين يلهم الخيل كلها الشجاعة والصبر فى دفاعها عن حياتها . وقال حصان الحكمة العجوز : لابد أن يكون أحمر اللون ليصبح مرئيا فى أى مكان أو زمان . وقال حصان الخبرة : لكن حصانا كهذا بحاجة إلى بحيرات من الدم عاما بعد عام، يغطيه من قوائمه حتى عرفه، وينزلق من أعلى صدره إلى جنبيه ، ليبقى لونه ثابتا فى ذاكرته ومقدمة رأسه . وقالت فرس ولادة : لابد إذن أن يولد فى حريق يلقنه الثبات فى اللهب. وقالت فرس مرضعة : وأن يأكل أعشابا حمراء ، ويشرب ماء أحمر ، ويلعق ظلال الحرائق الحمراء من فوق الأرض الساخنة . عندئذ لن يمحو لونه شىء ، لا السحب البيضاء ، ولا مياه البحور الزرقاء ، لا أشعة القمر الفضية ، ولا الأوراق الخضراء الندية . وغمغم الحصان الشاعر : سيكون وحيدا ، فردا ، لا مهرة

www.ibtesama.com Exclusive

ولا ولد ، لكنه إذا صهل فى أعالى الجبال أيقظ فى الخيل محبة الريح .

تلك الليلة كانت باردة فالتصقت بجدتى التى فركت يديها فوق الحطب المتقد ، والظلال تتأرجح على وجهها ثم أكملت : ولم تكن هناك فى العالم أرض مثل غزة تجرى فيها الدماء بهذه الوفرة، فولد المهر فيها وشب، إذا خبا بين البيوت والدكاكين فى أزقتها المبلطة تشبعت قوائمه بالدم ، وإن ركض إلى الميادين المفتوحة غطت صدره ورقبته الدماء من ورش العمال وأفران الخبز ، وحين يرمح بعيدا هاربا إلى الحقول يغمره الأفق بالدم . وأصبح المهر حصانا فردا ، وخرجت الخيل كلها تشق طريقها إليه من بحر البقر وشبعا وصبرا وشاتيلا ورام الله والجولان ، خيول من كل الأزمنة ، تخمش الأرض بقوائمها ، تتململ ، تميل برقابها ، وتندفع إلى حيث الحصان الأحمر .

الكثيرون مثلك يرون ذلك الحصان متوهجا بعيدا ، ويتمنون لو كان لديهم مثله ، لكن أحدا لا يفكر كم أنه منهك من قدره الذى كتب عليه أن يكون نادرا ، ووحيدا ، وأن يتحمل فى سبيل ذلك ألما فوق طاقة الخيل. فإذا تمكنت أنت أو غيرك من امتطاء صهوة ذلك الحصان فسترى العالم كله باللون الأحمر : الأشجار الخضراء تصبح حمراء ، الثلوج البيضاء ، الهواء ، قطرات المطر، أوراق الدفاتر، أثواب الزفاف البيضاء .

سألت جدتى بلهفة : ألا يزول عذابه ؟

قالت : ربما يعود إلى لون الخيول الأخرى إذا استراح من الحريق .

قلت : وسيكون جميلا كما أراه الآن ؟

لزمت جدتى الصمت لحظة ثم قالت : تأخر الوقت وحان موعد النوم .

www.ibtesama.com Exclusive

13

مظروف

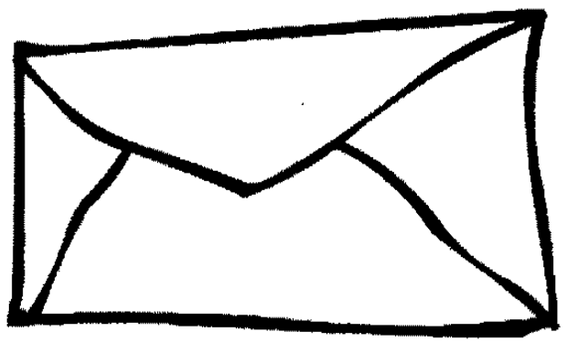

حين فتح عينيه وجد المكان معتما ، صامتا ، رطبا . نهض واقفا ويده مدلاة إلى جانبه بالمظروف. ما من أثر يدل على الحياة سوى صوت أنفاسه .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

وضع الاستمارة فى مظروف ومرر لسانه على الصمغ الجاف فى طرفه وأغلقه . لم يطالبه أحد بالاستمارة . هو الذى قرر بنفسه أن يسلمها ليتخلص من وطأة الانتظار أو المباغتة. هكذا سيكون أفضل . وضع المظروف على سطح المنضدة فى الصالة لكى يذكره مرآه عند خروجه بأخذه وتسليمه للمسئول فى الأحوال المدنية . لكن المظروف الأصفر ظل فى مكانه نحو أسبوعين حتى غلفته طبقة خفيفة من غبار وفتات خبز ورماد . كان بصره يقع عليه من وقت لآخر ، فيقول سآخذه أول مرة أغادر فيها البيت . بم تلهى عنه ؟ لا يدرى بالضبط . ربما تململ شىء فى أعماقه غير مستريح للقرار، أو أنه اعتاد على وجوده فى مكانه فلم يعد يبصره ، كما لا يرى المرء الوقت حين يعتاد عليه ، أو جدران المكان فتصبح وهى قائمة غير مرئية . منذ أيام زاره أحد الأصدقاء القدامى وهو يهم بالخروج، فجلسا طويلا واستعادا ذكريات كيفما اتفق ، وحين غادرا البيت معا نسى المظروف . مرة أخرى تلقى اتصالا هاتفيا بشأن مكافأة نهاية الخدمة، وللحظة وهو يدفع ذراعه بعجل فى كم القميص ومض المظروف فى خياله ثم انطفأ فى لهوجة ارتداء بقية ملابسه، وخرج. تذكره فقط حين رجع وهو أمام الشقة يفتح الباب ، فمط شفته السفلى باستسلام . وحين دخل قصد المظروف مباشرة، ورفعه ونفخ عنه الغبار ثم رشقه بين سطح المرآة وحافة إطارها. وقف يتأمله، كأنما ليحفر موقعه فى ذاكرته، وقال لنفسه من المؤكد الآن أننى سألمحه عند خروجى. من وقت لآخر كان بصره يقع عليه فيجده مطلا منكسرا .

صباح اليوم فتح باب الثلاجة فلم يجد على أرففها المضاءة ما يؤكل ولا حتى قطعة جبن صغيرة . فقط كان ثمة طبق صينى واحد على طرفه شريحة طماطم حمراء ضرب العفن الأبيض فى حوافها. لابد من شراء أى شىء . خبز،علبة سردين محفوظ ، ليمون ، أى شىء . وضع يده على مقبض الباب ، منهكا من ثلاث ليال متعاقبة من كوابيس ونوم متقطع وصمت ،

www.ibtesama.com Exclusive

وشاهد المظروف مرشوقا ونصفه العلوى مدلى لأسفل.

أخذه ببطء ودفعه إلى جيب الجاكتة الأيمن، وخبط عليه بيده خبطة خفيفة يؤكد لنفسه شيئا ما ، ثم خرج .

أمام باب العمارة تمهل يجول بعينيه فى حركة الشارع ، ثم قطع الطريق إلى الجهة المقابلة ، وسار ببطء على الرصيف . تجاوز ثلاثة منازل عن يساره تحتها محلات كان يعرف أصحابها من زمن بعيد ، ماتوا ، وتولى أبناؤهم شئونها . أخيرا ظهر مبنى الأحوال المدنية العتيق فتوقف لحظة، ثم دخل من البوابة الحديدية العالية ومشى فى ممر ضيق طويل انتهى به إلى قاعة كبيرة ترامى فضاؤها الفسيح وراء موظفين برزت رؤوسهم من نوافذ صغيرة تراصت أمام أصحاب الحاجات حاملى الأوراق .

أخذ مكانه فى صف أمام إحدى النوافذ وعندما حل الدور عليه أحنى كتفيه قليلا إلى مستوى النافذة ومد يده بالمظروف للموظف الذى تفحصه من الأمام والخلف وأعاده إليه قائلا : الشباك الثالث. اعتدل واقفا يمسح المكان بنظرة، فأضاف الموظف ببطء وبلفظ واضح: يمينك بعد شباكين بالضبط . خرج من الصف وتوقف مترددا بقلق وفى خاطره تأجيل العملية ليوم آخر، غدا ، أو بعد غد مثلا . لكنه ما لبث أن نفض أصابع قبضته كأنه يطرد الشك والقلق.

أمام الشباك الثالث وقفت امرأة ضخمة تتنفس بصعوبة وراءها شاب صغير السن يهز كتفيه باستهانة وضجر . انتظر خلف الاثنين صامتا .انتهت المرأة من عملها واستدارت تفسح بقبضتها طريقا تمر منه. وقدم الشاب أوراقه على عجل . لكن الموظف الأصلع القصير تمتم بشىء ، فاعتذر الشاب وقال وهو ينصرف إنه سيرجع بعد دقائق لأن مسكنه قريب . تقدم إلى الشباك ، لكن الموظف نهض فى تلك اللحظة بالذات ، وانسحب إلى عمق القاعة الكبيرة وبدا أقصر مما كان فى سيره بين الأعمدة الطويلة فى القاعة . وتوقف بعيدا قرب خزانات مرتفعة حتى السقف امتلأت رفوفها بسجلات سميكة متربة .

مكث فى مكانه أمام الشباك يتتبع بعينه اليسرى حركات الموظف

www.ibtesama.com Exclusive

وهو يفتح أحد السجلات بين ذراعيه. طال الوقت وشعر بساقيه ترتعشان من الوقفة ، فلوح بالمظروف فى الهواء ليذكر الموظف بوجوده ، ووقعت دورة المظروف المتكررة فى مجال رؤية الموظف فحاد ببصره نحو الشباك ، ثم عاد إلى عمله وهو يضم أطراف أصابعه ، يهزها فى الهواء ، طالبا منه بالإشارة أن يتريث .

استند بمرفقيه على الرقعة المبلطة الممتدة من حافة الشباك للخارج, ومال رأسه لأسفل يرتجف. الانتظار لحظة عقاب، أينما كان الانتظار، ولأى سبب . آلمه عظم مرفقيه، فاعتدل ، وانتبه إلى أن الموظف القصير يتردد بين أحد المكاتب وأرفف السجلات بقلم فى يده يدقق شيئا . ناداه فى نفاد صبر : يا مولانا .. أنا هنا من زمن !

أقبل نحوه متبرما وجذب المظروف من يده وفتحه ، فمال ناحيته بأذنه اليمنى ليسمعه إذا تكلم . أشار الموظف بسبابته إلى خانة فى أسفل الاستمارة وقال باختصار: وقع . وبينما يخرج قلما من جيبه كان الموظف قد انسحب إلى الداخل ثانية . لم يتمالك نفسه فصاح به غاضبا : يا مولانا .. يا محترم ! التفت الموظف إليه من بعيد ثم أحنى رأسه بهدوء يسجل شيئا . علا صوته وقد أفلتت منه أعصابه : أيصح أن تتركوا الناس ينتظرون هكذا؟! تدخل آخر بصوت رفيع من شباك مجاور ناصحا : تفضل حضرتك استرح على الدكة هناك حتى ينهى ما فى يده . سار وأطرافه ترتعش نحو دكة طويلة موضوعة بمحاذاة الجدار وجلس وهو ينفخ بانفعال : عيب عليكم ، عيب جدا .

فى ذلك الوقت كانت الساعة قد اقتربت من الثانية ظهرا، وانصرف أغلب أصحاب المصالح ، وبعد قليل لم يبق فى المكان أحد تقريبا . شعر وهو جالس على الدكة بنغزة خفيفة فى عظم مرفقيه ، ورأى نهاية شارعه المعتم ، ونجوى جالسة بجنبها خلف سور الشرفة الوحيدة المنيرة معتمدة بمرفقها عليه سارحة فى الفراغ المعتم أمامها بنظرة رصينة مستسلمة . كان يعبر الجهة المقابلة للشرفة كل يوم ليسترق النظر إلى رأسها ونور «اللمبة» الأصفر الباهت يتشتت حوله ، يخترق العتمة ، صبيا عابرا دون أن يجرؤ على رفع بصره نحوها ، آملا كل ليلة أن ذلك السكون الهش الرقيق يولد من أجله هو .

www.ibtesama.com Exclusive

ما الذى كانت نجوى تنتظره بشغف كل مساء ؟ أو من ؟ . ورأى الشرفة وقد صارت خاوية ، مطفأة ، والسكون يعم البيت الفارغ ، والشارع غارق فى الظلمة وظلال القمر ، فطالت حياته كلها بعد ذلك ترقبا لانبعاث ذلك النور .

حين فتح عينيه وجد المكان معتما ، صامتا ، رطبا . نهض واقفا ويده مدلاة إلى جانبه بالمظروف. ما من أثر يدل على الحياة سوى صوت أنفاسه . أدار عينيه فيما حوله فلمح بصيص ضوء متسربا من تحت الباب ، تحرك إلى هناك لكن الباب كان موصدا ، ضرب عليه بيديه الاثنتين، وأرهف السمع فترامت إليه أصوات مبهمة متلاشية . استدار إلى القاعة وخطا حتى توقف أمام الشباك. حدق فى العتمة متوقعا أن يبرز مسئول من وراء حاجز أو خزانة حاملا شمعة ، إلى أن أيقن أنه وحده فى الظلمة والصمت .

تلاحقت أنفاسه وهتف بقوة ويأس وغضب : أيعقل هذا؟

وتردد صوته بين الأعمدة كالرعد .

www.ibtesama.com Exclusive

14

مسافة

كأننى لم أشاهدك فى
وقفتى على مسافة
قصيرة منك، كأنى لم أر
كيف تحجرت مكانك
عندما أفلتت قبضة
الرجل الصبى وتركه
يرتطم بالأرض ثم نفض
يديه وانصرف.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

نعم

أنت المقصود . أنت . أنت تحديدا . لماذا تتلفت حولك وكأننى أتوجه بحديثى لشخص آخر غيرك ؟ وفيم تلك النظرة المستعلية التى ترمقنى بها الآن؟ أكنت تظن أننى لن أتعرف إليك لمجرد أنك أوليتنى ظهرك وأنت واقف فى شارع السوق؟ ما الذى تغمغم به لنفسك؟ إن كان عندك شىء فقله بصوت مرتفع . تفضل . إننى أنصت إليك . آها .. بالطبع ، ليس أحسن من أن تدعى أنك لا تسمعنى ، لا تلحظ وجودى ، مع أن المسافة بيننا لا تزيد عما يفصل إنسان عن ظله ! أنت لا تسمعنى. حقا ؟ فهل ستدعى أيضا أنك لا ترى؟ ستنكر أنك شاهدت ما وقع أمامك؟ أم أننى أفترى عليك؟ أختلق ما لم يحدث كأننى نكرة أسعى لجذب الأنظار؟ ألم تر كيف اتجه الرجل الضخم بنظرته المتوعدة إلى الرصيف المقابل ، ثم توقف أمام الصبى الذى جلس على الأرض بجوار مشنة ليمون وبيده سيجارة مشتعلة؟ صبى يناهز العاشرة ويدخن؟ استثار منظره الرجل الضخم فقطع الشارع نحوه وتوقف أمامه يمعن النظر إليه، وفجأة هبطت قبضته إلى ياقة قميص الولد ورفعه منها فتلوى الصبى فى الهواء كسمكة صغيرة معلقة فى شص صنارة؟ مرة واحدة رفعه فى الجو، ثم أخذت كفه الغليظة تعلو وتهبط بالصفع على وجه الولد؟ قل لى الآن إن هذا لم يحدث، وقل لى إنك لم تر، وإنك لم تحدق إلى الرجل الضخم مأخوذا بالمفاجأة والذعر؟أحسن من كل ذلك قل لى إنك أصلا لم تكن هنا فى شارع السوق؟ كأن تلك اللحظة لم تكن ، ولا تلك الظهيرة الساخنة المتوترة ، ولا الرجفة الخفيفة التى ارتعش بها ظهر قميصك مع ملامح الولد المتقلصة بالمباغتة والانفعال والألم والعجز عن فهم أى شئ ، كأننى لم أشاهدك فى وقفتى على مسافة قصيرة منك، كأنى لم أر كيف تحجرت مكانك عندما أفلتت قبضة الرجل الصبى وتركه يرتطم بالأرض ثم نفض يديه وانصرف بعد أن لقن الولد درسا . ألم يحل

www.ibtesama.com Exclusive

بعد ذلك صمت بترك إلى نصفين؟ أم أنك ستنكر حتى الصمت الذى حل ؟ . أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ كنت أنت الأقرب إلى ما جرى ؟ فما الذى قلته لنفسك ؟ ألم تقل إن المرء لا يزج بنفسه فى كل شجار عابر ؟ وإلا كما قلت أنت ضاعت الحياة كلها فى اشتباك بعد آخر ؟ . وعندما حل ذلك الصمت المذهل الساخن ، ألم تفكر أن ماجرى ليس أكثر من كسرة من زمان ومكان لن يتوقف أحد عندها ؟ . كنت أنت الأقرب، لكنك تحجرت وغمرك الخوف. أنا أشتمك؟ ما الذى تلفقه ؟ لم تصدر عنى سبة، كل ما فى الأمر أنك تميل لافتعال شجار تدارى به نفسك . لا أفهمك ، الآن تنظر إلى بإزدراء ؟ كأن الذنب ذنبى ، أنا الذى كنت أقف بعيدا . أخيرا .. تتحرك .. أسمع صوت الحصى الصغير على أسفلت الشارع يتفتت تحت حذائك وأنت تستدير نحوى ببطء شديد . ها نحن قد صرنا وجها لوجه . ما الذى ستقوله ؟ تكلم . إننى منصت إليك .

www.ibtesama.com Exclusive

15

حرج خفيف

في أول محطة
ووقفت أدخن في
انتظار أتوبيس آخر.
بعد ذلك بعدة أيام
تصادف أنني ركبت
مع المحصل ذاته.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

صعدت إلى الأتوبيس المتجه من الدقى إلى التحرير . ناولت محصل التذاكر الجالس كالعادة على مقعد قرب السلم نصف الجنيه وقلت له : التحرير . أعطانى التذكرة فى صمت من دون أن ينظر ناحيتى . سعر التذكرة ربع جنيه. انتظرت أن يرد إلى البقية ، لكنه مال برقبته على الفور فى اتجاه باب الأتوبيس يتابع الصاعدين وهو يطرق خشبة التذاكر بقلم . محنى برأسه وكتفيه وظهره فى قوس ناعم ، استند بمرفقيه على مستطيل خشبى مرتفع أمامه وفرد ذراعيه باستسلام وهدوء ، وجهه مدبوغ من شمس كل يوم ، منعزلا عما حوله بيأس صاف، فبدا كشخص ألقى به إلى قاع بئر بعيدة وظل وحده إلى أن فقد الأمل فى كل شىء، فكف عن إرسال صوته للعالم ، وانصرف إلى نفسه مثل يمامة تنقر ريش قلبها فى صمت .

لم أرفع عينى من عليه ، وشعرت رغم أن وجهه فى ناحية أخرى أننى فى مجال دائرة إبصاره وأنه يحس بنظرتى. تيقنت أنه ينتظر أن أنسى أو أتناسى بقية المبلغ . بالنسبة لى ربع الجنيه لا يعد نقودا ، لكن عدة أرباع جنيهات قد تشكل عنده هو مبلغا بعد نهار عمل شاق. تراجعت للخلف وراء كتلة من الركاب ووقفت معتمدا بظهرى على صاج الأتوبيس. أرسلت بصرى للشارع عبر النافذة الخلفية العريضة ورسمت على وجهى تعبير الشخص السارح بأفكاره ، ليتخيل المحصل إذا استرق النظر إلى أننى نسيت الموضوع . لكن الأفكار تصبح أحيانا مثل الأرق كلما حاولت الهروب منها سيطرت عليك، هكذا أخذ شعور بحرج خفيف يروح ويأتى بينى وبين المحصل ، مثل موجة محجوزة بين ضفتين، تردها الواحدة إلى الأخرى، نغزة لم أستطع التخلص من الإحساس بها، فسارعت بالهبوط فى أول محطة ووقفت أدخن فى انتظار أتوبيس آخر. بعد ذلك بعدة أيام تصادف أننى ركبت مع المحصل ذاته ، ومرة أخرى لم يرد إلى ما تبقى لى من نقود . لكننى هذه المرة لم أشعر بالحرج ، بدا كأننا معارف قدامى ، أو كأن بيننا تفاهما سابقا مستقرا بهذا الشأن .

www.ibtesama.com Exclusive

تراجعت إلى جنب فى الأتوبيس متسائلا أيعقل أنه يذكرنى؟ . لاحظت هذه المرة أنه لا يرد بقية الفلوس للراكب إلا إذا طالبه بها وألح فى ذلك . ترى كم يجنى أسبوعيا مقابل هذا الإحراج؟ . وفجأة ارتفع صوت لشاب قصير بقميص وسروال ملطخين ببقع بياض الشقق يسأله : الباقى ياعم ؟ . كررها مرتين ، فاستدار المحصل إليه غاضبا " ألم تأخذه ؟ " . وعلا صوت الرجلين فى نقاش أقرب إلى الشجار، كان المحصل خلاله يقسم بانفعال أنه رد ربع الجنيه إلى صاحبه. ولا أدرى كيف هبط بصر المحصل على وجهى من بين الركاب جميعا ، فناشدنى كأننى وقعت له من السماء " ألم تكن حضرتك واقفا هنا عندما أعطيته الفلوس؟ " . أشاح الشاب العامل بذراعه " لم تعطنى شيئا " . استنجد بى المحصل ثانية لأشهد معه " حين قلت له خذ الباقى يا إبنى؟ " . فى تلك اللحظة توقف الأتوبيس عند محطة فهبط الشاب ساخطا متذمرا . استعاد المحصل هدوءه ، ومسح بأطراف أصابعه الطويلة صلعته، وتأملنى بأسف " شايف حضرتك ؟ . أنت راكب مثله لكنك لم تقل كلاما كالذى قاله ، لماذا؟ لأنك تعرف الحقيقة " . ارتجفت وقلت أهون عليه " يا سيدى الناس كلهم مخنوقين ، لازم نتحمل " . قال بأمل " أنت ركبت معى قبل ذلك مرة أو اثنتين، هل حدث لا سمح الله شىء كهذا؟ " . ولمعت عيناه يدعونى ألا أخذله فهززت رأسى وأنا أتفادى النظر إليه " أبدا . لم يحدث " . تنفس براحة قائلا : " الحمد لله ، كلمة الحق طلعت مع أنى لا أعرفك ولا تعرفنى " . صعد راكب جديد وأعطى المحصل نصف الجنيه فناوله تذكرة ، وترددت يده فى الجو قليلا ، ثم امتدت إلى الراكب ببقية المبلغ وقال يشهدنى مع بقية الركاب " الحمد لله أنكم واقفون وترون" . ابتعدت عن مقعد المحصل ، فعاد إلى عزلته وإلى مزاج اليأس الصافى العميق متوغلا فى نفسه حيث لا أحد غيره .

هبطت فى محطتى قرب ميدان التحرير ، وظللت واقفا على الرصيف لحظات أحفظ فى ذاكرتى لون طلاء الأتوبيس ورقمه لكى لا أركبه ثانية . استدرت ماشيا وأنا أطرد صورة المحصل من ذهنى قائلا لنفسى " بعد ذلك أركب المترو وخلاص " .

www.ibtesama.com Exclusive

16

محاكمة

يشتم الجميع بأقذع الشتائم، معتدا بنفسه على نحو وقح، فأسديت إليه النصح مرة واثنتين، وأنذرته ضمنا، لكنه منتشيا بخمر السطوة والبطش سد سبل التفاهم.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

توزع الحراس على جانبى قاعة المحكمة وقد عقدوا أياديهم خلف ظهورهم ، ووقف عدد منهم يحمى منصة القاضى وهم يحدقون فى الجالسين بالصفوف الأمامية . وكان ثمة مروحتان كئيبتان معلقتان فى السقف تئزان فى الجو بصوت رتيب يشحذ التوتر المكتوم فى القاعة . ظهر القاضى بثوب أسود منسدل من عند كتفيه فنهض الجميع ، وبرقت أضواء عدسات الصحفيين وكاميرات التلفزيون، إلى أن أشار القاضى بطرف يده فعادوا إلى مقاعدهم . جلس القاضى ببطء ، نحيفا ، يناهز الستين ، على وجهه تكشيرة كآبة عميقة ضمته فصار كل تعبير ينضح من ثناياها . رفع رأسه الأصلع وجال فى القاعة بعينيه من فوق نظاراته التى هبطت على أنفه ثم قال بصوت جاف خفيض " أحضروا المتهم " .

وظهر على الفور حارسان يجرجران بالقوة حازم الشيبانى ، وقدماه تحتكان بالأرض، ورأسه مدلى على صدره تقريبا ، أجلساه على كرسى فى قفص الاتهام ، ثم أمسك أحد الحارسين برأس الشيبانى ورفعه لأعلى بحيث يصبح وجهه الأزرق المتورم أمام القاضى ، بينما شد الآخر كتفيه وثبتهما على ظهر المقعد . وفاحت من الشيبانى رائحة عطر قوى أغرقوه فيه ليطغى على رائحة بدنه . وتململ البعض فى القاعة ما بين مذهول ومستنكر حين رأى الشيبانى ، وضرب أحدهم كفا بكف غير مصدق جرجرة الشيبانى إلى المحاكمة وهو بهذه الحال .

مكث القاضى جامدا كالحجر يقلب الأوراق التى تحت عينيه ثم طالب الإدعاء بتلاوة قرار الاتهام الموجه للشيبانى . اشتمل القرار على محاولة الشيبانى الاستيلاء على قطعة أرض ملك لحسين الصباح ، وشبهة حيازته سلاحا بدون رخصة، وعقده صلات مريبة مع جماعات متطرفة ، واستبداده بأهله، وحبس من خاصموه من أفراد عائلته فى أقبية بمزارع نائية ، والتعدى بالضرب على الآخرين، والبلطجة وفرض الإتاوات . وقدم الإدعاء كومة من

www.ibtesama.com Exclusive

الوثائق والصور طالبا إلحاقها بملف القضية ، ثم اختتم مرافعته بأن كل ما لديه من أدلة ومن أقوال الشهود يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المتهم مذنب فى كل ما نسب إليه .

رفع القاضى رأسه وأومأ بإشارة إلى الدفاع لكى يتقدم بدفاعه عن الشيبانى . واقترب المحامى من منصة القاضى وهو يدفع بمذكرة إليه قائلا :

- فليسمح لى سيدى القاضى أن أستدعى شاهدا واحدا هو السيد العجمى الذى تهجم على بيت موكلى ليلة التاسع من أبريل .

واقترب السيد العجمى من المنصة طويلا أنيقا ببسمة متوددة .

سأله المحامى :

- هل توضح للمحكمة طبيعة علاقتك بالمتهم حازم الشيبانى ؟

قال العجمى بهدوء :

- أعيش يا سيدى - كما سبق أن قلت فى شهادتى - فى منطقة تبعد عن المنطقة التى يعيش فيها الشيبانى بعشرات الكيلومترات، ولكن أنباء الأحداث فى وقتنا تنتقل وتقطع المسافات كالهواء، وكانت تردنى الأخبار عن استبداد الشيبانى بأهل بيته ، وتنكيله بهم وحرمانه إياهم من الخروج والدخول والكلام ، وحين مشى للاستيلاء على أرض حسين الصباح ، خرجنا من منطقتنا ووقفنا على أطراف المكان نتابع بأبصارنا تقدمه ومن حوله البلطجية يتواثبون بالبيارق والرقص والغناء ، وراقبنا كيف أعملوا فى أصحاب الأرض تقتيلا ، ثم مكثوا هناك بين الرمال يشوون العجول ويأكلون وهو واقف بينهم جبينه ملطخ بالدم والعرق يتبجح بأن الأرض فى الأصل ملكه . كان يوما مشهودا ، خشى من بعده أصحاب الأراضى المجاورة على حرماتهم ، وثرواتهم ، فبعثوا إلى برسائلهم فى الخفاء لما عرف عنى من توقير للعدل ، فقصدت المقهى الذى يجلس فيه كل مساء وسط المدينة ، ووجدته جالسا وقد وضع ساقا على ساق ، يشتم الجميع بأقذع الشتائم ، معتدا بنفسه على نحو وقح ، فأسديت إليه النصح مرة واثنتين ، وأنذرته ضمنا ، لكنه منتشيا بخمر السطوة والبطش سد سبل التفاهم .

www.ibtesama.com Exclusive

قاطعه المحامى بنبرة متوترة :

- وما علاقة ذلك بتوجهك لبيته تحت جنح الظلام وأنت تحمل سلاحا ؟

قال العجمى متعجبا :

- أقضت مضجعى أنفاس المعذبين فى الأقبية وأنين المروعين ولاحقتنى أطياف المظاليم فأرقت ضميرى حتى جافانى النوم . وسألت نفسى كثيرا أيمكن أن أنعم بالطمأنينة فى جيرة مستبد ؟ ألا يكون مبدأ الاستبداد عدوانا على مبدأ الحرية ؟ فكيف لى ألا أدافع عن مبادئى ؟

قاطعه المحامى مستفزا :

- أكانت مسألة مبدأ ؟ أم أنك كنت تعلم بوجود ثروة فى بيت الشيبانى ؟

رد العجمى دون أن يتلجلج :

- المسألة مسألة مبدأ يا سيدى .

قال المحامى :

- خلنا إذن فى ليلة الحادث .. ماذا جرى فى تلك الليلة ؟

أجاب العجمى :

- كنت قد قررت تخليص الناس من الشيبانى لينعموا بحريتهم ولأتمكن من النوم دون قلق . وفى تلك الليلة اتجهت بصحبة مجموعة من الرجال الأشداء قاصدين بيته ، وتخلصنا دون ضجة من حارسين كانا واقفين فوق سطح البيت ، واثنين آخرين قاما بحراسة المدخل ، وأجهزنا على الكلاب التى عوت فى الظلام ، ثم دخلت البيت وبيدى سكين طويلة . استيقظ الشيبانى من نومه على صوت تحطم الباب، فوقف فى الصالة بعينين حمراوين مبهوتا أمام رجالى المتأهبين ، وكان له ولدان ظهرا فجأة من باب إحدى الحجرات فأجهز رجالى عليهما دون جهد ، فجن جنون الشيبانى ، ووثب نحوى رافعا قبضته ، لكننى لكمته بقوة فى صدره فسقط على الأرض وجثمت على بدنه أسدد إليه طعناتى وهو مازال على اعتداده يلعننى قدر ما أسعفته أنفاسه .

ألقى المحامى نظرة سريعة على الشيبانى فى قفص الاتهام فوجد عينيه مغلقتين ووجهه الأزرق المتورم غائبا عما حوله ، ترتجف شفته السفلى بتقلص لا إرادى ، وتحت قدميه تتجمع بركة حمراء صغيرة تنشع قطراتها من ملابسه

www.ibtesama.com Exclusive

عاد المحامى ببصره إلى العجمى يستفسر منه بانفعال :

- مرة أخرى أسألك ألم تكن تعلم حين اقتحمت دار الشيبانى أن بها مجوهرات وأوراقا نقدية ثمينة محفوظة بخزانة فى غرفة النوم؟ ألم تضع عينيك على هذه الثروة وبسببها اقتحمت بيته ؟

أجاب العجمى :

- كلا . لم أكن أعلم . كنت مثل الآخرين أسمع الحكايات عن كنوزه المطمورة لكن من أين لى أن أعرف إن كانت تلك حقيقة أم لا .

واحتد المحامى بصوت مرتفع :

- وبم تعلل اختفاء الثروة من حجرة النوم فى الليلة التى اقتحمت فيها البيت ؟

- ليس لدى تعليل ، مبادئى كما قلت كانت حافزى ، ومع ذلك فإن كانت هناك ثروة وكنوز كتلك فإنها ستساعد فى تجديد البيت ودهان الجدران التى تقشر طلاؤها ، وإصلاح مواسير المياه القديمة وتثبيت بعض الأعمدة ، وغير ذلك . فى تقديرى يا سيدى أن ماجرى يتيح فرصة جديدة للجميع لينعم بالسعادة والأمن والحرية.

سأل المحامى بتهكم مرير :

- إذن فقد ذبحت ولديه وطعنته دفاعا عن المبادىء ومن أجل حياة جديدة ؟

قال العجمى بهدوء :

- نعم المشكلة يا سيدى أن المبادئ تسكن الأفراد ، ولو كان بوسعى أن أطعن المبادىء الشريرة فيه بدون أن أمزق بدنه لفعلت .

أومأ المحامى برأسه للسيد العجمى ، فعاد الأخير متبسما إلى مقعده فى القاعة ، وتقدم المحامى إلى القاضى قائلا :

- فليسمح لى سيادة القاضى ، أن أتقدم بشهادة طبية تفيد أن موكلى حازم الشيبانى الماثل أمام عدالتكم فى قفص الاتهام يحتضر الآن من جراء الطعنات التى تلقاها فى تلك الليلة ، لذا أرجو مراعاة ذلك ، لكى لايقال إنكم حاكمتم

www.ibtesama.com Exclusive

قتيلا .

رد القاضى باشمئزاز :

- نحن هنا لمحاكمة الجريمة ، ووضع المتهم الصحى ، بل حياته أو موته لا يعوق النظر فى الجريمة وإعلاء كلمة الحق .

دق القاضى المنصة معلنا رفع الجلسة لاستراحة قصيرة يصدر بعدها الحكم ونهض واقفا فرفرف من خلفه طرفا عباءته كطائرين أسودين يتخبطان فى الفضاء.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

17

إيمى

كنت متيما بإيمى ، أحاول أن أنتهز الفرصة لأعترف لها بحبى ، فأمسكت بيدها ونحن جالسين وقلت لها بصوت مرتجف : إيمى .. أنت ترجين كل كيانى.

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

كانت إيمى صغيرة الحجم ، دقيقة ، قصيرة ، نحيفة ، وجهها مستطيل مضغوط من الجانبين كأنه شمعة وحول رأسها كان ثمة نور خفيف، عيناها واسعتان، كعيون الإيرانيات ، معبئة بسواد ساحر عميق، يعلوهما حاجبان مرسومان بدقة كهلالين غاية فى الجمال . لكن إيمى لم تكن تنظر مباشرة فى عينى من يحدثها إلا نادرا وللحظة قصيرة تعود بعدها فتطرق برأسها وتحنى كتفيها النحيفتين المضمومتين لأسفل وهى تضفى على نفسها هيئة من ينصت باهتمام وأدب . لم تكن تنظر لأحد مباشرة ، بل ولم تكن تنصت لشىء . اكتشفت ذلك فيما بعد ، حين كنت أحدثها ذات مرة ، وتوقفت أتأملها متشككا فى أنها تسمعنى ، ثم لزمت الصمت ناظرا إليها وهى مازالت تهز رأسها كمن ينصت ، وعدت أكلمها لكن فى موضوع آخر دون أن يثير ذلك أى رد فعل لديها . وحتى حين كانت إيمى تنهض وهى تضم طرفى الجاكت الخفيف ، وتمد يدها مودعة ، كنت أشعر أنها لا ترى أى شىء حولها . كانت مستغرقة فى نفسها طوال الوقت تحاول أن تتسمع فى أعماقها غمغمة بعيدة ، صدى خافت لصوت مهشم يلوح ويختفى . حين كانت إيمى تأتى إلىّ فى أيام الشتاء كان أول ما تطلبه أن أغلق بطارية التدفئة لأنها تصدر أزيزا خفيفا ، وفى أيام الصيف ترجونى أن أغلق جهاز التكييف لأن الصوت الضعيف جدا الصادر عنه يقلقها ، ثم كانت تسألنى أن أغلق جهاز التلفزيون وأحكم إغلاق النوافذ لأن الأصوات القادمة من الشارع توترها . وتجلس بعد أن أنفذ كل ما طلبته ترهف السمع ، ثم تقول : هل هناك جهاز ما يعمل فى المطبخ؟ . أقول : لا . تقول : لأننى أسمع صوتا . أقول : ربما من عند الجيران . وفقط عندما تختفى كل الأصوات ، تجلس إيمى وتهدأ وتطرق برأسها تنصت فى أعماقها لغمغمة من عالم آخر، تنصت بكل كيانها ، مثل شخص غائب فى صلاة ، كأنما تبتهل إلى الغمغمة أن تخرج من الضباب .

قلت لها مرة ونحن نتغدى فى أحد المطاعم : أنت ياإيمى لا تسمعين ، لا

www.ibtesama.com Exclusive

تنظرين ، لا تبصرين . لست هنا . ضحكت ضحكة مسحوبة مثل حد سكين : ما الذى تقوله ؟ كيف أعيش إذن ؟ . قلت لها : تتركين هذا الإنطباع يا إيمى . سكتت ورأسها مطرق ثم قالت دون أن تنظر إلىّ : أتذكر أبى الذى توفى مبكرا ، كان أغلى ما حياتى . يخيل إلى طيلة الوقت أنه همس لى بشىء ، لكنى لم أسمعه جيدا حينذاك أو سمعت ولم أفهم لأنى كنت صغيرة فى السادسة وأنه مازال يريد لكلمته أن تصلنى . حتى الآن ، أتحدث إليه ، أستأذنه قبل أن أقوم بهذا العمل أو ذاك، أطلب موافقته ، وحينما أخطئ أو أذنب أسأله بدموعى فى الليل أن يغفر لى . أتساءل أحيانا ألم يحن الوقت لكى يتركوه ليرجع إلى عالمنا بعد أن بقى هناك سنوات طويلة جدا ؟ ألا يكفى كل هذا الزمن ؟

كنت متيما بإيمى ، أحاول أن أنتهز الفرصة لأعترف لها بحبى ، فأمسكت بيدها ونحن جالسين وقلت لها بصوت مرتجف : إيمى .. أنت ترجين كل كيانى رجا متصلا دون توقف ، دون لحظة هدوء ألتقط فيها أنفاسى . ما أن أقترب من أى شىء حتى أكتشف أننى أحبك، حين أتجه للمطبخ وأضع إبريق الشاى على النار أجدنى أحبك . حين أستلقى لبعض الوقت على السرير أجدك ملء قلبى ، عندما أرفع سماعة التلفون ، وحينما أخلع قميصى ، وأنا أفتح باب الشقة ، وحتى يدى وهى تغسل وجهى تذكرنى أنى أحبك . كأن العالم اختزل وجوده إلى مجرد سهم كبير يشير إليك . قولى لى كيف يمكن لكل ما ألمسه أن يتذكرك ويجعلك أمامى ؟

أمسكت إيمى بيدى ودعكتها بقوة وهى تنظر بعيدا وقالت : نعم . هذا هو الحب . أنا أعرفه .

افترقنا على أن نلتقى بعد ساعتين فى ميدان التحرير لنتجه بعد ذلك لمشاهدة عرض مسرحى . كان موعدنا فى السادسة مساء فى الساحة الممتدة أمام مبنى المجمع الضخم . لكن ازدحام الطرق أخرنى عنها نحو ربع الساعة ، وحين بلغت الميدان كان يضج بالنداءات وضوضاء السيارات وصياح المارة . شاهدت إيمى من بعيد ، رحت أخطو فى اتجاهها بخطوات سريعة ، وفجأة رأيتها تتلفت متطلعة إلى الجو حولها وهى مذعورة ، ثم أخذت تلوح بيديها كأنما تصد رصاص أصوات ينهمر عليها من كل ناحية ، وأمسكت رأسها

www.ibtesama.com Exclusive

بيديها، وضغطت على إذنيها بقوة ، وقد تشنج وجهها . هرولت ناحيتها ، كانت تترنح نحيفة رقيقة كأنها بقية حب ، واستولى علىّ فزع لم أعرفه من قبل ، ولحقت بها قبل أن تهوى على الأرض ، أمسكتها من كتفيها ، وأنا أصيح فيها : إيمى . هززتها بقوة ، ففتحت عينيها ، هتفت باسمها ثانية : إيمى . فحدقت فىّ بنظرة مثل الشهقة وتمتمت بحرارة غير مصدقة : جئت !

تلك كانت المرة الوحيدة التى رأتنى فيها إيمى !

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

18

أوراق صغيرة

انحنت رؤوس وأكتاف
وأعين وملأت الجو
عبارات الامتنان العميق .
حينئذ شمل جابر
منصور القاعة الفسيحة
المنيرة بنظرة رضاء "
ستكون نهى سعيدة هذه
الليلة ، فلتفرح

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

1

فى التاسعة من صباح يوم الأحد كان البنك المركزى المصرى قد طبع نحو مائة ألف ورقة جديدة من فئة الخمسة جنيهات رقدت كومات مربوطة فى صفوف متجاورة على سطح معدنى لمنضدة طويلة . على كل ورقة رسم القلعة ، وفى الأسفل توقيع المحافظ " فاروق زكى "، ورقم مسلسل ، وتاريخ الإصدار ، من الناحية الأخرى رسم لجدار فرعونى وباللغة الانجليزية"البنك المركزى المصرى" .

فى التاسعة والنصف وصل عدد من كبار الموظفين إلى البنك تقدمهم المدير الذى أمسك رزمة وتفحصها ثم غمغم : ماشى . فشقت الأوراق طريقها إلى الهيئات الحكومية والمصارف والأسواق والشركات، أوراق جديدة، تصك أطرافها الحادة أسطح المكاتب بقوة مجموعة منظمة من جنود تقتحم مواقع القتال .

2

الدكتورة مروى زوجة جابر منصور كانت قد اتفقت معه على الاحتفال مرتين بعيد ميلاد ابنتهما نهى، الأولى احتفال شبه رسمى فى باخرة على النيل ، والثانية بعد ذلك فى البيت مع الأهل والمقربين . الآن وقف جابر منصور يراجع كل تفاصيل احتفال البيت : الزينة ، الحلويات ، الطورطات ، البوفيه المفتوح ، الخمور ، الهدايا المغلفة ، وحين اطمأن إلى كل ذلك انطلق بسيارته المرسيدس متجها إلى الباخرة " تيتى " ، وما أن توقف وخرج من السيارة حتى هرول نحوه حراس السيارات ، وكانوا يعرفونه جيدا . أغلق باب السيارة ، وفتش فى جيبه عن فلوس ، فلم يجد ورقة بعشرة جنيهات ، لكنه عثر على ورقتين جديدتين من فئة الخمسة جنيهات ، ناولهما للمنادى وسار إلى داخل الباخرة عبر ممر يعانقه فيه الياسمين . فى الداخل دقق مع رئيس الطهاة أصناف الطعام والمشروبات، وراجع مع المترودوتيل أسماء المدعوين من رجال الأعمال وكبار موظفى الدولة والصحفيين وأرقام المناضد وترتيبها ، ووجد كل شىء على ما يرام ، ففتح حقيبته وأخرج منها رزمتين ، كل رزمة تضم مائة ورقة جديدة من فئة الخمسة جنيهات . أعطى الرزمتين للمترودوتيل أمام الجميع وصاح ليسمعوه " ألف

www.ibtesama.com Exclusive

جنيه فرقهم على الأولاد " . انحنت رؤوس وأكتاف وأعين وملأت الجو عبارات الامتنان العميق . حينئذ شمل جابر منصور القاعة الفسيحة المنيرة بنظرة رضاء " ستكون نهى سعيدة هذه الليلة ، فلتفرح ، هل يوجد من هو أعز منها ؟ " .

3

لم يكن فى جيب رمزى شاكر الصحفى الشاب سوى ورقة واحدة بخمسة جنيهات . تحسسها بأصابعه داخل جيبه وهو واقف عند المحطة تحت صهد الشمس . بعد فترة ظهر الميكروباص، وصبى السائق يصيح " رمسيس . على طول رمسيس " . صعد رمزى وحشر نفسه فى مقعد . أخرج الورقة وأعطاها للصبى ، فأعاد إليه أربعة جنيهات قديمة. فى الطريق فكر رمزى " كم جنيها يكسبها الولد فى اليوم مقابل صراخه وفتح حنجرته للأتربة والريح فى الحر والبرد ؟ " . هبط رمزى فى ميدان رمسيس وتمهل أمام بائع صحف على الرصيف ، قرأ بعض عناوين الصفحات الأولى ، ثم اشترى جريدة الأهرام بخمسة وسبعين قرشا ، وصحيفة أخرى بجنيه ، وبحسبة سريعة فى رأسه شاهد فى جيبه جنيهين وربع فقط . تلفت حوله وسار عدة خطوات إلى محل فول . طلب سندويتش طعمية وسندويتش فول بجنيه، وتردد ثم قال للرجل " بربع جنيه شوية باذنجان " . لم يبق من خمسة الجنيهات الجديدة سوى جنيه واحد مهترئ لا يمكنه التفريط فيه لأنه قد لا يجد غيره للرجوع إلى بيته . انتهى رمزى من مضغ آخر لقمة ، واتجه ببطء نحو مدخل المترو، ووقف ينتظر هاشم الذى وعده بأن يقرضه مبلغا صغيرا حتى أول الشهر . كان الجو حارا،وصيحات الباعة تتكسر فوق بعضها بعضا فلا تدع فراغا لصمت ، ألقى نظرة على الأسوار الحديدية التى مزقت الميدان فى كل ناحية ، فبدا له الميدان كسجن بسماء مفتوحة . أخرج جريدة الأهرام وقرأ بذهن شارد مقالا جعله يتثاءب . تذكر أسماء الكتب التى يحتاج إليها، وغلاء أسعارها، ثم برقت فى رأسه الزاوية التى سيكتب منها عن حادثة " مقهى عنبة " حيث طعن مواطن أحد أصدقائه بسكين . وقال لنفسه

www.ibtesama.com Exclusive

متنهدا بشك : " هل سيأتى هاشم ؟ " .

4

أعطى أبو خليل الفلوس لصباح وأكد عليها : كلها خمسات جديدة ، قسميها على عشرة أيام، كل يوم خمسة جنيه للأكل والشرب وخلافه. نظرت صباح إلى الفلوس فى يدها وهى تهز طفلتها ذات العامين على صدرها لتكف عن البكاء . كالعادة خمسة جنيه لكل شىء .

أبو خليل كهربائى ، يوم شغال ويوم بطال،وأغلب الوقت قاعد على القهوة يلعب طاولة. يرجع من الخارج يرمى جثته فى الصالة ويمد ساقيه ويزعق : لقمة آكلها . وعليها هى أن تتدبر كل شئ فى حدود الورقة . فول وخبز الإفطار، الغداء، لبن للبنت، العشاء ، والجاز ، وأى شئ آخر . تزوجت صباح وهى فى الثامنة عشرة من أول شخص تقدم إليها بأمل أن تنجو من حجرة واحدة تكدس فيها سبعة أفراد، وبعد شهرين فقط بدأت تفكر فى الطلاق دون أن تقدم عليه ، ثم أخذت تقلب فكرة الخدمة فى البيوت لكن تجربة الطالب الكويتى فى المنيل خوفتها . الشىء الذى أثار الذعر فى نفسها كان رد فعل أبو خليل الذى عقب على حكاية الطالب ببرود وهو يلوك لقمة قائلا " أما واد قليل الأدب صحيح ! ".

خرجت صباح إلى الشارع وبيدها ورقة الجنيهات الخمسة ونعمة الصغيرة على كتفها . بعد فصال ومناهدة اشترت نصف كيلو بامية بجنيه ، ونصف كيلو لبن بجنيه، وفول بجنيه للإفطار والعشاء، ثم عشرة أرغفة بنصف جنيه. وتوقفت طويلا أمام مشبك أحمر للشعر بنصف جنيه، ثم اشترته لنعمة . الجنيه الباقى أخذت به كيس ملح صغير وشوية مخلل . ورجعت وهى تتأمل شعر البنت بالمشبك الأحمر. على السلم ، زعقت فيها من الطابق الأعلى أم على صاحبة البيت ، وفتحت حلقها على آخره ، وصاحت بها " فين ياختى إيجار الشهرين اللى فاتوا ؟ ما بتروحيش ليه تخدمى فى البيوت زيك زى غيرك ، أنت على رأسك ريشة ولا على رأسك ريشة ؟ " . تجاهلتها صباح ، وفتحت باب الشقة الضيقة ، دخلت وجلست على طرف السرير تبكى ، وبعد

www.ibtesama.com Exclusive

قليل نهضت إلى المطبخ وهى تقول لنفسها " الزيت والطماطم والقطرة من خمسة بكرة بقى " .

5

اتجه أبو خليل إلى شقة جابر منصور ظهرا، وهناك تبين له أن الشغل كله عبارة عن تركيب لمبات للزينة فى الصالة الواسعة. واضح أن البيت سيحتفل بمناسبة ما، فقد هرولت طيلة الوقت سيدات وبنات بفساتين أنيقة من غرفة لأخرى وهن يضحكن . أنهى عمله بسرعة ومسح النجف بفوطة كما أمرته الدكتورة مروى زوجة جابر بيه ، وجرب مفاتيح اللمبات ، ثم وقف بأدب أمام الدكتورة ، فأخرجت له ورقة جديدة بخمسة جنيهات وأعطتها له . شكرها وقال لها " تحت أمرك أى وقت يا مدام " . خرج أبو خليل متجها إلى مقهى عنبه بسوق الناصرية وهو يقول لنفسه " كنت أظن العملية كبيرة " . سحب كرسيا وجلس يتأمل الورقة الجديدة النظيفة . لن يتمكن على الأرجح من أن يدخر منها مليما للحشيش . وقرر أبو خليل أن يجرب حظه مرة ، وأن يلعب على الخمسة جنيه كاملة عشرة طاولة مع محمود المنجد ، إما أن تلد له خمسة أخرى ، أو تذهب فى ستين داهية . حين أقبل محمود بكتفيه العريضتين وصوته الغليظ ، وضع الاثنان الطاولة ما بينهما ، وقال أبو خليل " ح ألعب على خمسة جنيه". ارتد محمود بعنقه وقهقه " معك خمسة جنيه؟! " . أخرج أبو خليل الورقة ومررها فى الهواء تحت أنف محمود قائلا " بشوكها " . بعد ربع الساعة ، أصبح واضحا أن أبو خليل يخسر، ومع كل رمية زهر كان توتره يتضاعف ، واحتقنت عيناه حتى أصبح لا يرى ما أمامه. بثقة أمسك محمود بالزهر صائحا " يا ابنى اللعبة دى فن مش أى كلام "، ورمى الزهر رمية أخيرة أنهت اللعبة . فى البداية حط على أبو خليل وجوم غريب ، ولم يكن يسمع تقريبا صوت محمود وهو يصيح به " هات الخمسة جنيه يا فالح ". كان لدى ابو خليل شعور قوى بأنه لا يستطيع أن يفرط فى هذه الورقة بأية حال ، بل ولا ينبغى له أن يفعل ذلك مهما حدث ، وماذا تعنى رمية زهر لتنتزع منه الفلوس ؟ . رفع أبو خليل رأسه باستماتة قائلا " أنت قرصت الزهر، واحنا اتفقنا اللعب من غير قرص

www.ibtesama.com Exclusive

" . نهض محمود وهو يزيح المنضدة جانبا بقوة " قرصت إيه يا خويا ؟ " . وطارت كلمات بذيئة فى الجو ، وتساقطت أكواب الشاى من المنضدة إلى الأرض ، ولم يشعر أحد متى أو من أين استل محمود سكينا طعن بها أبو خليل الذى سقط من على الكرسى بهدوء وأصابع يده ترتعش قابضة على الورقة الجديدة . الحادثة ظهرت بعد ذلك بالتفصيل فى جريدة اليوم بقلم رمزى شاكر ، وتضمنت شهادة مسعد النقاش الذى كان جالسا ساعة وقوعها يراقب اللعب وهو يشرب الشاى .

6

بعد ثلاثة أيام ، فى صباح يوم الأربعاء ، كان البنك المركزى المصرى قد طبع نحو نصف مليون ورقة جديدة من فئة خمسة الجنيهات . وطبع أيضا مليون ورقة من فئة الخمسين جنيها ، وثلاثة ملايين ورقة من فئة المائة جنيه ، وسرعان ما شقت الأوراق طريقها إلى الهيئات الحكومية والمصارف والأسواق والشركات، أوراق جديدة، تصك أطرافها الحادة أسطح المكاتب بقوة مجموعة منظمة من جنود تقتحم مواقع القتال .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

19

طفل في قفص

إذا نسيه الله هنا ، فإنه لن يتدخل فى شىء ، أى شىء ، فقط سيظل يتنفس ويرى ويتابع دون أدنى حركة ، مثل حجر ساكن مفكر وشاعر.

www.ibtesama.com Exclusive

الوقت

ظهرا والجو حار والهواء متجمد بلون القصدير الأبيض . الطريق غير ممهد مثقوب بعشرات الحفر ، تغطيه برك الماء الصغيرة ، وتعلو فيه أكوام من التراب والحجارة . مشى وهو يتفادى الحفر فى طريقه إلى محطة القطار. على جنب كان ثمة ونش ضخم برافعة وسائق مختف فى الأعلى داخل كابينة عالية يحرك جرافة الونش فى الأرض . حاول أن يرى وجه ذلك السائق . عدة مرات من قبل كان يتوقف ويظلل عينيه بكفه ويرفع بصره لأعلى فلا يرى شيئا سوى كاسكتة فوق رأس السائق تتحرك يمينا ويسارا . يتجاوز الونش ويواصل سيره . يلهث . يفكر أن الحياة وقت للعب ، ووقت للحب ، وقت للعمل ، ووقت للتساؤل . وهو فى السن التى يكون كل شىء عندها قد ضاع ، ولم تبق سوى قدرة العقل العجيبة على التفكير وإدامة النظر فى المرايا التى بداخله . أحيانا كان فى غمرة الأسئلة الثقيلة يخاطب الله برجاء وحيد ، أن ينساه هنا ، فى هذه الحياة ، يتركه على الأرض ، ويقسم لله أنه إذا تركه فإنه لن يفعل أى شىء ، لن يحب امرأة جديدة ، لن يضع أملا أو قلبا ما فى هدف ، لن يصارع من أجل شىء ، أو ضد شىء ، لن يصادق مخلوقا ، لن يكلم أحدا ، بل ولن يغادر بيته أبدا . كل ما يتمناه أن ينساه الله هنا على الأرض بحالته التى هو عليها الآن ، لا أفضل ولا أسوأ ، ليجلس وراء نافذة يراقب مجرى الحياة ، كيف تتطور العلوم بسرعة مذهلة ، كيف يضخ الشباب الدماء فى قصص حب جديدة ، وكيف تحمر وجنات الفتيات فى أول الغرام . سيجلس هادئا ساكنا تماما يتأمل كيف تنمو الأشجار وكيف يغيب القمر وتهب الرياح وكيف يعلو موج البحر دافقا زبده الأبيض على الشاطىء. إذا نسيه الله هنا ، فإنه لن يتدخل فى شىء ، أى شىء ، فقط سيظل يتنفس ويرى ويتابع دون أدنى حركة ، مثل حجر ساكن مفكر وشاعر .

واصل سيره فى الشارع ، وفجأة جاءت من خلف ظهره دراجة عتيقة وتجاوزته فظهرت أمامه متحركة للأمام . كان عليها رجل بجلباب يتمايل على

www.ibtesama.com Exclusive

الناحيتين مع ضغطه على دواستى الدراجة فينتفخ جلبابه من أسفل بالهواء . خلف الرجل مربوط على مسند قفص صغير كالذى تباع فيه الفاكهة . فى داخل القفص جلس طفل صغير لا يتجاوز الخامسة ، يهتز مع حركة الدراجة، شعر رأسه يتطاير فى الهواء، وقد تشبثت قبضتاه الصغيرتان بحافة القفص . تابع القفص وظهر الطفل ببصره ، وفجأة استدار الصغير برأسه للخلف ناظرا إليه ، حينئذ رأى وجهه كاملا . شعر مهوش وجبين عريض بشكل لافت للنظر ، شفتاه منفرجتان عن بسمة واسعة وأسنان متفرقة . وفى لحظة سدد الطفل إليه نظرة سريعة سعيدة ساخرة ، حكيمة وآسية ، مشبعة ببهجة مريرة ، مثل إنسان فى مأزق لكنه سعيد به يجد فيه معنى مفرحا و ساحرا .

صفت روحه كأنه لم يعش كل تلك الأعوام المرتبكة . وسرعان ما أدار الطفل رأسه للأمام وعاد يتطلع إلى بعيد متشبثا بقوة بحافة القفص . أرسل بصره للحظات خلف الدراجة وهى تبتعد ، وهو يحاول أن يدرك معنى نظرة الطفل . أهو فرح بركوب دراجة تجرى فى الهواء؟ لكن من أين جاءت تلك النظرة المنتشية بحب الحياة بحكمة وأسى؟

واصل سيره ببطء . وتجنب تلا صغيرا من الأتربة ، وحين رفع عينيه رأى الدراجة البعيدة على الطريق وهى ترتد راجعة نحوه . الجلباب الذى ينتفخ من أسفل يمينا فيسارا ، والطفل داخل القفص . وأمام عينيه مباشرة مرق وجه الطفل ..

استدار الطفل برأسه للخلف. صغير ضئيل قليل مثل نقطة من حياة داخل قفص يبتسم له بحنو ومرارة وسرور غامر .

تجمد مكانه ، وأحس أن قلبه ينخلع من مكانه ، وغمره ذهول مثل سماء صافية ، وتعلق بصره بالدراجة التى تنأى ، وجاشت كل نفسه بحب ودموع ، ومد ذراعا فى الهواء نحو الدراجة البعيدة هاتفا فى الصغير : يا إبنى .. يا إبنى .

ودارات صيحته مثل دوامة صغيرة فى الهواء .

www.ibtesama.com Exclusive

20

مشى بين الأعشاب

حلت شعر رأسها الأسود الطويل ونفضته للخلف مرتين . راحت تتمايل فى الجو ببطء ملوحة بكفيها العريضتين عن يمين ويسار رأسها .

www.ibtesama.com Exclusive

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

ببنطلون البيجاما وفانلة داخلية خرج إلى الشرفة قبيل غروب الشمس . وقف وقد أسند مرفقيه إلى السور يترقب ظهورها على الطريق.

أمامه بعيدا تقع محطة القطار القديمة . بقى منها مقطورة تفسخت ونمت الأعشاب بداخلها وحولها . وراء المحطة ترامت حقول شاسعة ، بينها ممشى ضيق متعرج صاعد إلى بيته على المرتفع الرملى .

كان الوحيد الذى قبل بالسكنى فى البيت ذى الطابقين حتى قبل تشطيب المدخل والسلم . قال لنفسه - سأجعل الشقة مرسما . وضع فيها فقط سريرا قديما وأدوات المطبخ الضرورية . لكنه لم يتردد على الشقة النائية الضيقة إلا كلما كانت تلوح له فرصة علاقة حميمة مع امرأة عابرة . أما لوحاته فمازالت مركونة مشاريع لم تكتمل ألوانها فى حجرته حيث يعيش مع والديه . شغله عن إنهائها عمله فى المدرسة الإعدادية ، وجلسات الأصدقاء كل مساء ومنازلتهم طويلا فى ألعاب الورق، ثم حياة الريف الراكدة حيث يتساوى كل شىء ، وأخيرا وربما أولا ما يستلزمه الرسم من عمل شاق وعزلة مثل كل فن . تلفت بوجهه يمينا ويسارا ، لا أحد . لا شىء . فقط العصافير التى تطير فرادى فوق الحقول مثل أرواح صغيرة تعاتب الأرض على الصمت والسكون . ربما يرسم يوما ذلك الأفق ، والممشى الضيق بين الأعشاب ، والسكون .

أخيرا لاحت من بعيد ، على الممشى بين أعواد القمح العالية ، رأسها منكس تتبين موضع قدميها وهى تترنح فى صعودها . فى المرة الأولى التى التقاها بمكتب البريد ، وفى مساء اليوم ذاته داخل الكازينو المطل على النهر بمركز المدينة ، استوقفه قوامها الطويل ، وعيناها السوداوان العميقتان مثل بئرين غائرتين بعيدا فى روحها ، وتلك النظرة الغريبة التى تعلو وتهبط فى عينيها - مزيجا من إنكفاء النفس على عتمة الروح والتطلع لنور الخارج ،

www.ibtesama.com Exclusive

فبدت له فى التايير الرمادى ، بصدرها الضخم ، وفمها الواسع ، كأنها تترنح بين عالمين، وتدارى ذلك بنصف ابتسامة تنطوى على أمل أنها جميلة وساحرة ، أمل لكن دون ثقة ، لهذا تترقب بنظرتها القلقة علامة إعجاب .

عبرت رصيف المحطة المغطى بطبقة من التراب ، ثم مضت بين مستودعين قديمين ثقب المطر والصدأ صاج السقف فيهما ، وصعدت المرتفع . رفعت رأسها متطلعة إلى البيت . تلفتت حولها لتعرف إن كان ثمة أحد قد رآها .

عاد إلى الصالة وقلبه يدق . فتح باب الشقة ووقف فى استقبالها وهو يرهف السمع إلى خطواتها . بانت وهى تصعد بحذر السلم الذى بدون درابزين . هش فى وجهها مرحبا . تمهلت . التقطت أنفاسها تتأمله . مد إليها يده فتشبثت بها . قادها إلى الصالة التى تشبع جوها بلون الغروب الشاحب وأغلق الباب ، فأصبحا وحدهما الآن.

وقفت فى " التايير " الذى كانت به فى الكازينو ، طويلة ضخمة ، وجالت ببصرها فى الصالة الفارغة إلا من مقعد ومنضدة صغيرة عليها جهاز مسجل . قالت بصوت أجش جاف ومبحوح :

- لامؤاخذة . ممكن كوب ماء .

٧قالت بنصف الابتسامة : لامؤاخذة ممكن سيجارة ؟ .

أشعل لها سيجارة ولنفسه أخرى .

فى مواجهة باب الشقة توجد الحجرة الوحيدة حيث السرير وكوميدينو بجواره . حاول جذبها إلى هناك، لكنها تملصت منه قائلة :

- خلينا شوية كده لامؤاخذه .

نظرت فى اتجاه الردهة الضيقة التى تفضى للمطبخ والحمام ، ثم هبط بصرها على جهاز التسجيل على المنضدة فصاحت :

- الله ! مزيكا ؟ شغل لنا شريط والنبى . أنا أحب الرقص قوى .

وضع شريط أغانى قديم مترب داخل الجهاز . رنت صاجات أغنية صاخبة ملعلعة . تأملته مرة أخرى بالنظرة المترنحة فى عينيها . حلت شعر

www.ibtesama.com Exclusive

رأسها الأسود الطويل ونفضته للخلف مرتين . راحت تتمايل فى الجو ببطء ملوحة بكفيها العريضتين عن يمين ويسار رأسها . أخذ يصفق على الإيقاع منخرطا فى الوعود التى يبثها قوامها الممتلىء . لحظة بعد أخرى وأحس على نحو مبهم بأن إعتامة ما تلف ملامحها ، وتوحى بالانسحاب والخوف ، مثل غزال يحاول النجاة بساق جريحة . سارع لكى يطرد ذلك الانطباع بالتقدم منها ولف ذراعة بحزم حول خصرها مغرقا رأسه فى تقبيل صدرها وهو يسوقها إلى الحجرة متمايلا مع النغمات . كانت نافذة الحجرة مفتوحة على سكون الأرض وأرواح العصافير الصغيرة ، فضمت ضلفتيها لتكون نصف مغلقة ، ثم خلعت ملابسها وهى تتطلع إليه . أصبحت فى قميص نومها الداخلى بقماشه الرخيص . صالبت ذراعيها على صدرها تنتظر . تربع فى جلسته وسط السرير وحاول جذبها من ذراعها ، لكنها راغت منه وتناولت الوسادة الوحيدة المنبعجة وفردتها بضربتين سريعتين بكفها وجلست على حافة السرير. مسد ظهرها بيده حتى مالت ببطء على جنبها فصر السرير تحت ثقل بدنها . رقدت وجعلت باطن كفها تحت رأسها ووجهها إلى النافذة المغلقة . أطلقت تنهيدة خفيفة . فرد جسمه بمحاذاتها ودقات قلبه تدوى فى أذنيه وذاب معها فى صهد العلاقة الحميمة . بعد لحظات أمسكت رأسها بين يديها وأخذت تهزه كأنه على وشك الانفجار وهى تئن بصوت خافت . تمهل . رفع جنبه معتمدا على مرفقه المغروس فى السرير. ظن أنه آلمها بطريقة ما فسألها " ما بك ؟ ". أشاحت بيدها ووجهها ناحية النافذة " كمل أنت .. لامؤاخذة .. أنا أتذكر أشياء . دماغى . يا أمى " .

أحس كأن أحدا صب ماء مثلجا على لهب . انحسر تدفقه الحار وكف عنها وهو مازال يلهث . التفتت إليه قائلة " لامؤاخذة . لا تستاء منى .. هناك رجال يحبون التنهيد " . قال " لكن هذا ليس تنهدا " . قالت " حاضر . خلاص أنا بطلت ". حاول قدر طاقته أن يستثير نفسه من جديد ليشتعل معها ، وامتدت يداه إلى صدرها فراحت تئن مرة أخرى " آه . يا أمى . دماغى . يا أمى " . وفجأة أحس بدموعها دافئة تسيل على كفه . خمدت ناره تماما . توقف واعتدل جالسا على السرير . مد يده إلى الكوميدينو

www.ibtesama.com Exclusive

بجواره وأخرج سيجارة من العلبة وأشعلها محدقا فى الغبشة . قامت ببطء شديد ، مثل طفل أذنب ، واتجهت دون أن تصدر أى صوت إلى النافذة وفتحتها لهواء الحقول . طغت دهشته على استيائه فسألها بنبرة استنكار :

- مابك ؟ ماذا يحدث ؟ أنت تبكين ؟

جرت دموعها إلى فمها الواسع :

- لامؤاخذة .

استفسر متبرما :

- لماذا تبكين ؟

أحنت رأسها بتأثر :

- أبكى لأن الناس جميعا ينسوننى .

مسحت دموعها بظهر كفها وسألته :

- قل لى كيف تعرف أنك موجود ؟

- أعرف .. لأننى موجود .

- لا . تعرف لأن الناس يرونك ، ويتكلمون معك ، لكن ماذا لو نسيك الناس ؟ وعبروا بجوارك كأنك لست هنا ؟

- ماهذا ؟

- نعم ما هذا . أشياء كثيرة تحدث وتضيع ، وينسانى الناس . لا أدرى هل أن ما يحدث يحدث حقا ؟ . لا مؤاخذة .

- لكن نحن معا فما الداعى لهذا الكلام الغريب ؟

نهض ودخل الحمام ووضع رأسه تحت صنبور الماء ثم خرج إلى الشرفة . يلمع القمر ويصب ضوءه الفضى العجيب حتى يكاد أن يخز بالسطوع عينيه . ليلة تضاف إلى سجل الزمن الذى لم يتحقق فيه شىء . كيف تحولت البهجة إلى نشيج ونهنهة؟ ما الذى أبكاها ؟ لو ترك كل شخص نفسه براحته لما بقى أحد من غير بكاء .

عاد إليها . وجدها جالسة على حافة السرير وقد عقدت على رأسها منديلا . جلس إلى جوارها . نظر إليها من جنب ، وفجأة غمره شعور بالشفقة عليها . راح يطبع قبلات خفيفة على شعرها المنسدل على كتفيها .

www.ibtesama.com Exclusive

ضمها برفق إلى صدره طويلا . ارتجفت ، ثم ارتخى بدنها . هدأت . وحين هدأت شاهدت أمامها طفلتها نادية التى انتزعت منها صغيرة ، فظلت على مدى عامين تستيقظ فى الليل بأنفاس مخنوقة من بقايا حلم ، كأنما صادفت فيه - فى أحد الشوارع - نادية ، لكن البنت لا تتعرف إليها . الآن فى هذه اللحظة ترى الطفلة واقفة أمامها تعرفها وتتذكرها وتكلمها .

أبعدها عن صدره قليلا بحيث يمسك ذقنها بأصابعه ناظرا إلى عينيها . ورأى فى عينيها نظرة متماسكة هادئة ، كأنما التئم الشق المفتوح بين داخلها وخارجها . وفارقه الانطباع بقبح فمها الواسع .

نهضت . ابتعدت عن السرير إلى الجدار المقابل . وأخذت فى ضوء القمر المتدفق ترقص من دون موسيقى ، وخلفها على الجدار ظلها الغامق . مالت برقبتها على نغمة متخيلة . دارت دورتين ببطء وصمت . لاحت فى عينيها لمعة سعادة صافية ، كأن حياتها القاسية بعد نادية لم تكن ، كأنها لم تعمل فى مركز البريد ، ولم تسكن وحدها طويلا . كأن كل شىء قد رجع كما كان . اشرأبت بعنقها ، ورفرفت بكفيها كأنما توشك على أن تنفلت إلى قطعة السماء المعجونة فى النافذة بالصمت وضوء القمر لتطير فى هواء الحقول الشاسعة .

اعتصرت قلبه موجة غامرة من الدفء والحب .

●●●

صادفها مرة واحدة بعد سبع سنوات كاملة فى مطعم أسماك بوسط المركز فى يوم صيفى . كانت تجلس ممتلئة البدن بجوار صبى صغير تطعمه بيدها . أمامهما جلس شخص يبدو أنه زوجها ، أصلع قصير ، يأكل ببطء .

تأملها فأحست بوقع نظرته . رفعت بصرها إليه لكنها لم تعرفه . وفى تلك اللحظة لمح عينيها اللتين فقدتا العذاب القديم ، وأطل منهما ضجر وطمأنينة ربات البيوت.

يتذكرها الآن وهو جالس وحده فى الشرفة . المحطة والمقطورة اختفت

www.ibtesama.com Exclusive

، والمبانى الجديدة ابتلعت أطراف الغيطان التى أشرف البيت عليها . لم يبق سوى طيف للمشى القديم بين الحقول، وطيف صورتها وهى ترتقيه . ولسبب ما يذكره ذلك برغبته التى لم تتحقق فى أن يرسم ذلك الأفق والمشى الضيق بين الأعشاب والسكون .

●●●

www.ibtesama.com Exclusive

سـيرة ذاتيـة

أحمد الخميسى . مواليد القاهرة يناير ١٩٤٨ . قصاص وكاتب صحفى . عمل فى الصحافة منذ عام ١٩٦٤ . دكتوراه فى الأدب الروسى من جامعة موسكو عام ١٩٩٢ . متفرغ للكتابة . صدرت له الكتب التالية :

١ "الأحلام ، الطيور الكرنفال " مجموعة قصصية عام ١٩٦٧ . القاهرة . دار الكاتب

٢ " قطعة ليل " مجموعة قصصية من تأليفه فى يوليو ٢٠٠٤ عن دار ميريت بالقاهرة

٣ " معجم المصطلحات الأدبية " ترجمة عن الروسية عام ١٩٨٤. القاهرة

٤ " المسألة اليهودية " للأديب العالمى دوستويفسكى - مجلة أدب ونقد _ العدد رقم ٦٩ - مايو ١٩٩١ ، وأعادت مجلة " زرقاء اليمامة " عام ١٩٩٦ نشره.

٥" كان بكاؤك فى الحلم مريرا " قصص عن الروسية عام ١٩٨٥ . القاهرة . دار المستقبل العربى .

٦" قصص وقصائد للأطفال " ترجمة عام ١٩٩٨ . دمشق اتحاد الكتاب العرب .

٧" نجيب محفوظ فى مرايا الاستشراق " ترجمة وإعداد عام ١٩٨٩ . القاهرة . دار الثقافة .

٨" أسرار المباحثات العراقية السوفيتية فى أزمة الخليج " ، تأليف وترجمة عام ١٩٩١ . مكتبة مدبولى .

٩ " موسكو تعرف الدموع " دراسات القاهرة ١٩٩١ ، كتاب الأهالى.

www.ibtesama.com Exclusive

-١٠" حرب الشيشان " ١٩٩٦عن دار الاتحاد بالإمارات .

-١١" نساء الكرملين " ١٩٩٧ . مكتبة مدبولى

١٢"- رائحة الخبز " قصص مترجمة ١٩٩٩. هيئة قصور الثقافة

١٣- الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين " دراسات - ٢٠٠٧ - القاهرة . الهلالى للنشر .

-١٤ كتب حوار فيلمى " عائلات محترمة" عام ١٩٦٨ و" زهرة البنفسج " ١٩٧٢

www.ibtesama.com Exclusive

المحتـــويات

قبل أن تقرأ ٥

كنـارى ١١

بط ابيض صغير ١٥

ليلة مبهمة ٢١

انـــتـــظـــار ٢٧

حـــــديقـــــة ٣٣

بـاب مـــغلق ٣٩

قـصـة ٤٥

نظام جـديد ٥٩

نـــــدم ٦٧

بدلة ٧٣

فرصة سعيدة..... ٨١

حصان أحمر ٨٥

مـظـــروف ٨٩

مـــســـافـــة ٩٥

حرج خفيف ٩٩

مـحـاكـمـة ١٠٣

إيمـــــى ١١١

أوراق صـغـيـرة ١١٧

طفل فى قفص ١٢٥

مشى بين الأعشـاب ١٢٩

www.ibtesama.com Exclusive

- الحريم والسلطة - سلمى قاسم جودة - أغسطس ٢٠٠٥.
- نجيب محفوظ والإخوان المسلمون - مصطفى بيومى - سبتمبر ٢٠٠٥.
- المسلمون فى الصين - د. عبد العزيز حمدى - أكتوبر ٢٠٠٥ .
- ملكة تبحث عن عريس - رجاء النقاش - نوفمبر ٢٠٠٥.
- الحب والضحك والمناعة - د. عبد الهادى مصباح - ديسمبر ٢٠٠٥ .
- عبقرية المسيح - عباس محمود العقاد - يناير ٢٠٠٦.
- كتاب الحب - يسرى الفخرانى - فبراير ٢٠٠٦.
- كلمات للضحك والحرية - على سالم - مارس ٢٠٠٦.
- قضية سيدنا محمد - محمود صلاح - أبريل ٢٠٠٦.
- فوبيا الإسلام فى الغرب - د. سعيد اللاوندى - أبريل ٢٠٠٦ .
- زمن سيدى المراكبى - مجموعة قصص لأكثر من كاتب - مايو ٢٠٠٦ .
- حكاية ابن سليم - على عيد - يونيو ٢٠٠٦.
- إبليس - عباس محمود العقاد - يولوى ٢٠٠٦.
- فكرة - مصطفى أمين - أغسطس ٢٠٠٦.
- ثقافة المصريين - فؤاد قنديل - سبتمبر ٢٠٠٦.
- احجز مقعدك فى الجنة - جمال الشاعر - أكتوبر ٢٠٠٦.
- "إسكندرية شرقًا وغربًا" و"عمدة عزبة المغفلين" - محمد محمد السنباطى ورضا سليمان - نوفمبر ٢٠٠٦.
- مع ابن خلدون فى رحلته - د. خالد عزب ومحمد السيد - ديسمبر ٢٠٠٦.
- الراقصون على النار - محمود النواصرة - يناير ٢٠٠٧.
- تأملات فى العقل المصرى - طارق حجى - فبراير ٢٠٠٧.
- دفاعًا عن المرأة - د. جابر عصفور - مارس ٢٠٠٧.
- كان زمان يا مان - سمير الجمل - أبريل ٢٠٠٧.
- عماد مغنية الثعلب الشيعى - مجدى كامل - مايو ,٢٠٠٧
- العرب ومحرقة اليهود - ترجمة د. رمسيس عوض - يونيو ٢٠٠٧ .

www.ibtesama.com Exclusive

- رحلات بنت قطقوطة - يوليو ٢٠٠٧.
- أسئلة الحب الصعبة - يسرى الفخرانى - أغسطس ٢٠٠٧.
- مصر القديمة فى عيون حديثة - جمال بدوى - سبتمبر ٢٠٠٧ .
- ١٠٠ سنة سينما - عزت السعدنى - أكتوبر ٢٠٠٧.
- رقص الطبول - ترجمة محمد إبراهيم مبروك - نوفمبر ٢٠٠٧.
- ياقلب مين يشتريك - سعيد الكفراوى - ديسمبر ٢٠٠٧.
- شيطان فى بيتى - عزت السعدنى - يناير ٢٠٠٨.
- الملكة فريدة وأنا - د. لوتس عبد الكريم - فبراير ٢٠٠٨.
- صورة المرأة المسلمة فى الإعلام الغربى - د. فوزية العشماوى - مارس ٢٠٠٨.
- صكوك الغفران الأمريكية - معصوم مرزوق - أبريل ٢٠٠٨.
- أجمل قصص الحب من الشرق والغرب - رجاء النقاش ـ مايو ٢٠٠٨ .
- حصاد الذاكرة - أحمد إبراهيم الفقيه - يونيو ٢٠٠٨.
- سرى الصغير - مكاوى سعيد - يوليو ٢٠٠٨.
- روكا والملك - عبد القادر محمد على - أغسطس ٢٠٠٨.
- الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية - د. خالد عزب - سبتمبر ٢٠٠٨ .
- من علّم محمداً هذا - جلال السيد - سبتمبر ٢٠٠٨.
- نفايات إسرائيل البشرية - فؤاد حسين - أكتوبر ٢٠٠٨.
- سوق الجمعة - فؤاد قنديل - أكتوبر ٢٠٠٨.
- أمريكا فى مفترق الطرق - د. حمدى صالح - نوفمبر ٢٠٠٨.
- مصطفى محمود. . سؤال الوجود - د. لوتس عبد الكريم - ديسمبر ٢٠٠٨.
- زائرة الأحد - عبد الرشيد الصادق محمودى - يناير ٢٠٠٩.
- امرأة على الحافة - د. سعاد جابر - منتصف يناير ٢٠٠٩.
- لماذا؟ - شريف الشوباشى - فبراير ٢٠٠٩.
- الريفى - يوسف أبورية - مارس ٢٠٠٩.
- زمن جميل مضى - د. جابر عصفور - أبريل ,٢٠٠٩
- أيام مع الولد الشقى - سامى كمال الدين - منتصف أبريل ٢٠٠٩ .

- نزول النقطة - جمال الغيطانى - مايو ٢٠٠٩ .
- حكايات من بلاد غريبة - فتحى الجويلى - منتصف مايو ٢٠٠٩ .
- ما ليس يضمنه أحد - خيرى شلبى - يونيو ٢٠٠٩ .
- تنوير طه حسين - سامح كريم - منتصف يونيو ٢٠٠٩ .
- اللحظات الأخيرة فى حياة جمال عبدالناصر - عمرو الليثى - يوليو ٢٠٠٩ .
- المغنى والحكاء - فاطمة ناعوت - منتصف يوليو ٢٠٠٩ .
- مبروك لولو حامل - د. سامى هاشم - اغسطس ٢٠٠٩ .
- رحلتى الى الله - عادل حمودة - سبتمبر ,٢٠٠٩
- ثقافتنا بين الوهم والواقع - طارق حجي - اكتوبر ٢٠٠٩
- حاجز الخوف - محمود النواصرة - نوفمبر ٢٠٠٩
- فتيات للفرجة فقط - عزت السعدني - منتصف نوفمبر ٢٠٠٩
- المعاني فى الاغاني - سليمان الحكيم - ديسمبر ٢٠٠٩
- المتعاقدون - تحية وداع للحمير - منتصف ديسمبر ٢٠٠٩
- اسوق الغمام - احمد الشهاوى - يناير ٢٠١٠
- المصريون الجدد - سلمي قاسم جودة - منتصف يناير ٢٠١٠
- يوسف وهبى ـ السيرة الاخري لاسطورة المسرح ـ د. لوتس عبدالكريم - فبراير ٢٠١٠
- الضعف الجنسى والانجاب ـ د. عادل أبوطالب ـ منتصف فبراير ,٢٠١٠

- تصبح على خير ايها الحزن ـ سهام ذهنى - مارس ٢٠١٠
- بشر تحت الطلب - حنان ابوالضياء - منتصف مارس ٢٠١٠
- عقارة الجسد - صلاح عبدالسيد - ابريل ٢٠١٠
- الصيدلى الاكلينيكى - د. احمد عبدالعزيز - منتصف ابريل ٢٠١٠
- عمارة الأضرحة - محمد عبدالسلام العمرى - مايو ٢٠١٠
- توتة توتة بدأت الحدوتة - سماح أبوبكر عزت - يونيو ٢٠١٠
- الشوارع فى الرواية المصرية ـ هالة فؤاد ـ يوليو ٢٠١٠
- النبى محمد فى الأدب المصرى ـ اغسطس ٢٠١٠
- مطبخ رمضان ـ حنان أبوالضياء ـ منتصف أغسطس ٢٠١٠
- مقومات النجاح في الحياة ـ د. كلير فهيم منتصف سبتمبر ٢٠١٠
- غربة الأحباب ـ سلوى الخطيب ـ سبتمبر ٢٠١٠ .
- فى الليل تتعدد الظلال محمد جبريل أكتوبر ٢٠١٠
- خلف الستار . . وجه آخر لافغانستان. . نوفمبر ٢٠١٠
- أوهام الحب والزواج ـ منتصف نوفمبر ٢٠١٠

إذا وجدت أى مشكلة فى الحصول على

إذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات

فلا تتردد فى الاتصال بنا على أرقام : ٢٥٧٨٤٤٤٤ ـ ٢٥٩٤٨٢٢٣

أو بالبريد الإلكترونى على العنوان التالى:

nawal@akhbarelyom.org

العنوان الاليكترونى

www.akhbarelyom.org.eg/ketab

البريد الاليكترونى

ketabelyom@akhbarelyom.org

www.ibtesama.com Exclusive

بطاقة فهرسة

الخميسى ، أحمد .
كنارى : مجموعة قصصية/ أحمد الخميسى
ط١ . القاهرة : دار أخبار اليوم ، كتاب اليوم ٢٠١٠
٦ شارع الصحافة القاهرة
١٤٤ ص ، ٢٠ سم . - (كتاب اليوم) تدمك 8 1509 08 977
١ . . القصة العربية القصيرة
أ . العنوان

٨١٣,٠١

رقم الإيداع : ٢٢١٧٨ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى: I . S . B. N

977 08 1509 8

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

مصريات
مجلة
الابتسامة
www.ibtesama.com